2030
مشاريع البادرة الأولى
FIRST INITIATIVE PROJECTS
عين الوطن
WWW.IENALWATAN.COM

المؤمن الصادق

أفكار حول طبيعة الحركات الجماهيرية

إيريك هوفر
ترجمة : د. غازي عبدالرحمن القصيبي

مؤسس المشروع : د. طلال المكى / رئيسة المشروع : سهام الشريف
نواب رئيسة المشروع : دعاء بامردوف / شهد ياسين
روافد المعرفة

رئيس لجنة الدراسات :

ابراهيم عبدالعزيز المعثم

نائبة رئيس لجنة الدراسات :

ملاك ابراهيم العنزي

رئيسة لجنة الكتابة :

وديان سعد القمانر

رئيسة لجنة تقنية المعلومات :

آلاء محمد الدوخي

نائبة رئيسة لجنة تقنية المعلومات :

منى الانصاري

رئيسة لجنة التصميم :

مروج القرمانر

رئيسة لجنة التنسيق :

ريمان خان

رئيسة لجنة التدقيق ومراجعة الروايات :

زينب الرمضان

نائبة رئيسة لجنة التدقيق ومراجعة الروايات :

ايمان حكمي

تلخيص كتاب

"المؤمن الصادق"

للكاتب

ايرك هوفر

@rawafed_k @rawafed_k @rawafed-k

رئيسة لجنة التلخيص:

بتول عياض السلمي

نائبة رئيس لجنة التلخيص:

جود ناصر القرشي

تلخيص:

بشرى عبدالله عباس

ايمان حسين الدهان

ليان عبدالستار قربان

ساره محمد الشيخ

نجود العمري

محمد سعيد المالكي

شروق الزبيدي

بشرى عبدالرحمن تمبوس

تدقيق إملائي ونحوي:

ريحانه مطهر

تنسيق الكتاب وإخراجه:

مروج أيمن القرماني

الفهرس

مقدمة الكتاب

مقدمة المترجم

مقدمة المؤلف

القسم الأول: جاذبية الحركة الجماهرية

الفصل الأول : الرغبة في التغير

الفصل الثاني: الرغبة في الدلائل

الفصل الثالث: التبادلية بين الحركات الجماهرية

القسم الثاني: الأتباع المتوقعون

الفصل الرابع: دور المنبوذين في الشؤون الإنسانية

الفصل الخامس: الفقراء

محدثو الفقر

الفقراء فقرًا مدقعًا

الفقراء الأحرار

الفقراء المبدعون

الفقراء المترابطون

الفصل السادس: العاجزون عن التأقلم

الفصل السادس عشر: المتطرفون

الفصل السابع عشر: الرجال العمليون

الفصل الثامن عشر: الحركات الجماهيرية النافعة والضارة

@rawafed_k @rawafed_k @rawafed-k

المقدمة الكتاب

يطرح لنا الكاتب ايريك هوفر مجموعة من الأفكار حول طبيعة الحركات الجماهيرية في أربعة أقسام وهي كالتالي: وجاذبية الحركات الجماهيرية، الأتباع المتوقعون، العمل الجماعي والتضحية بالنفس، البداية والنهاية.

ولكل قسم تفاصيل خاصة بعنوانه فهو يخبرنا أن المجتمعات الثورية هي إما مجتمعات تبحث عن التغيير، أو عن بدائل لثورات سابقة، كما أنه قسم لنا الثوار حسب الظروف النفسية والاجتماعية، وتحدث أيضاً عن ازدواجية بعض الثورات.

لقد تمتع الكاتب بأسلوب تحليلي وذلك بتقديم أمثلة والاجابة عن أسئلة ربما كنت لتتوقف عندها يوماً دون إدراك حقيقتها وأكد أن هذا الكتاب ليس بكتاب أكاديمي انما "يحتوي على مجرد أفكار ولا يرفض أنصاف الحقائق إذا كانت تحتوي على منهج جديد وتساعد على توليد أسئلة جديدة. "

اقتباس " الحركات الجماهيرية اجمالاً تهدف لإيجاد أسلوب حياة أو اعتراض عليه وتشكّل طريقا للخلاص، إلا أن الجيوش هي وسيلة الحفاظ على النظام القائم أياً كان" ايريك هوفر "

الكاتبة /شروق الشريف

@rawafed_k @rawafed_k @rawafed-k

مقدمة المترجم

أقدمت على ترجمة هذا الكتاب إلى العربية بالرغم من أنه صدر في منتصف القرن الميلادي المنصرم، وبالرغم من أنه لم يحظَ بقدر كبير من الانتشار، إلا أني وجدت فيه جوابًا شافيًا عن سؤال شغلني منذ أن بدأت ظاهرة الإرهاب تشغل العالم، وهو: "لماذا يصبح الإرهابي إرهابيًا؟." ثم شاءت المصادفة أن أتعرف على هذا الكتاب، فوجئت بأنني عثرت أخيرًا على ضالتي، حيث أني لم أتوقع ايجادها في كتاب لم ترد فيه كلمة الإرهاب، ونشر في زمن لم تكن فيه ظاهرة الإرهاب معروفة. إلا أن الإرهاب وليد التطرف والكتاب معني بالتطرف , والمعادلة التي يعرضها المؤلف بسيطة ومقنعة في الوقت ذاته ، وهي تبدأ بالعقل المحبط الذي يرى به الإنسان المحبط عيبًا في كل ما حوله و من حوله ، و ينسب كل مشكلاته إلى فساد عالمه ، و يتوق إلى التخلص من نفسه المحبطة وصهرها في كيان نقي جديد , وهنا يجيء دور الجماعة الثورية الراديكالية التي تستغل ما يؤول إليه المحبط من مرارة وكراهية و حقد ، فتسمعه ما يشتهي أن يسمع ، و تتعاطف مع ظلاماته ، و تقوده إلى الكيان الجديد الذي طالما حنّ إلى الانصهار فيه , من هذا اللقاء الحاسم بين عقلية الفرد المحبط الضائع وبين عقلية القائد الإجرامي المنظم ينشأ التطرف ، و من التطرف ينبت الإرهاب. بزوال الإحباط يزول التطرف، وبزوال التطرف ينتهي الإرهاب، هذا-في رأيي-هو الأسلوب الوحيد الناجح لمشكلة تقض مضاجع العالم كله.

غازي بن عبدالرحمن القصيبي • الرياض • 1430 – 2009 م

@rawafed_k @rawafed_k @rawafed-k

مقدمة المؤلف :

يتعامل هذا الكتاب مع خصائص تشترك فيها كل الحركات الجماهيرية ، سواء أكانت دينية أم اجتماعية أم قومية ، ولا يزعم الكتاب أن هذه الحركات متماثلة ، ولكنه يذهب إلى أنها تشترك في صفات رئيسة تخلق بينها نوع من التشابه العائلي. تولد الحركات الجماهيرية في نفوس أتباعها استعدادًا للموت وانحيازًا إلى العمل الجماعي ، وجميعها ، بصرف النظر عن المذهب الذي تدعو إليه ، أو البرنامج الذي تعنيه ، تولد التطرف والحماسة والأمل المتقد والكراهية وعدم التسامح ، وجميعها قادرة على تفجير طاقات قوية من الحراك في بعض مناحي الحياة ، وجميعها تتطلب من أتباعها الإيمان الأعمى والولاء المطلق. وجميع هذه الحركات، مهما كانت اختلافاتها المذهبية وأهدافها تستقطب أتباعها الجدد من النماذج البشرية نفسها ، وجميعها تستميل الأنماط والعقول نفسها. مهما كانت القضايا المقدمة التي يموت الناس من أجلها ، فإنهم على الأرجح ، يموتون للسبب نفسه. يقصر هذا الكتاب اهتمامه ، أساسًا ابتداء من المرحلة النشطة الدعوية إلى الحركة الجماهيرية، وتتميز هذه المرحلة ، أساسًا بسيطرة المؤمن الصادق (الرجل ذي الإيمان المتطرف المستعد للتضحية بنفسه في سبيل القضية المقدسة)، ويحاول الكتاب تحليل البذور والجذور التي تغذي طبيعة هذا الرجل , ويستعين الكتاب في تحليله بفرضية محددة , انطلاقًا من الحقيقة التي تقول: إن المحبطين يشكلون غالبية الأتباع الجدد في كل الحركات الجماهيرية ، وإنهم ينضمّون إليها بإرادتهم الحرة .

@rawafed_k @rawafed_k @rawafed-k

القسم الأول

جاذبية الحركات الجماهيرية

@rawafed_k @rawafed_k @rawafed-k

الفصل الأول : الرغبة في التغيير

1- من البديهّي أن كثيرًا من الذين ينضمّون إلى حركة ثورية صاعدة يتطلعون إلى تغيير مفاجئ كبير في أوضاعهم المعيشية. إن الحركات الثورية ، بعبارة أخرى هي أداة واضحة من أدوات التغيير. إلا أنه من الصحيح أيضًا أن الحركات الدينية والقومية يمكن أن تكون ، هي الأخرى وسائل للتغيير. من الواضح أن نوعًا من الحماسة والانفعال ضروري لتحقيق أي تغيير كبير وسريع، ويمكن أن تجيء هذه الحماسة من توقع ثروات هائلة ، أو من الانخراط في حركة جماهيرية. كانت الحركات الدينية الصاعدة تدعو إلى التغيير الشامل ، وإلى التجريب ، وكانت منفتحة على آراء وأساليب من كل الاتجاهات. أما في العصور الحديثة ، فقد كانت الحركات الجماهيرية التي استهدفت إحداث تغيير واسع شامل حركات ثورية قومية ، أو حركات تشترك في هاتين الصفتين، تحول الثورتان الروسية والفرنسية إلى حركتين قوميتين تدل على :

- أن القومية في العصور الحديثة أصبحت المصدر الأول لتوليد الحماسة الجماهيرية.
- أنه لابد من استثمار الفوران القومي إذا أريد للتغييرات الجذرية التي استهدفتها الثورة أن تتحقق.

@rawafed_k @rawafed_k @rawafed-k

2- تكمن فينا جميعًا نزعة إلى البحث عن العوامل التي تصوغ حياتنا ، كما يرتبط النجاح أو الفشل عادة في أذهاننا بما يدور حولنا . وهكذا ترى أن الأشخاص الراضين عن أنفسهم يعدّون هذا العالم طيّبًا ويحاولون المحافظة عليه ، بينما نجد المحبطين يفضلون التغيير الجذري. إن النزعة إلى البحث عن أسباب خارج أنفسنا تستمر ، حتى عندما يكون من الواضح أن وضعنا هو نتيجة عوامل داخلية ، كشخصيتنا أو صحتنا إن الرغبة في التغيير والرغبة في مقاومة التغيير تنبعان من المصدر نفسه : الإيمان بتأثير العوامل الخارجية.

3- إن عدم الرضا في حد ذاته لا يخلق بالضرورة رغبة في التغيير، لابد من وجود عوامل أخرى قبل أن يتحول عدم الرضا إلى تذمّر ، وأحد هذه العوامل هو الإحساس بالقوة.

4- قد يبدو للوهلة الأولى أن امتلاك القوة سيؤدي في حد ذاته إلى موقف يتحدّى به صاحبه العالم ويتطلع إلى التغيير ،إلاّ أن الأمور لا تسير بالضرورة على هذا النحو، ما يهم ليس امتلاك القوة ولكن الإيمان المطلق بالمستقبل.

@rawafed_k @rawafed_k @rawafed-k

5- إن الفارق بين المحافظين والراديكاليين هو في الأساس فارق بين مواقفهم من المستقبل ، حيث يدفعنا الخوف من المستقبل إلى أن نتمسك بالحاضر ، بينما يجعلنا الأمل في المستقبل متحمسين للتغيير. عندما تصطدم الآمال والأحلام الصاخبة في الشوارع ، على المواطنين المسالمين أن يدخلوا بيوتهم ويغلقوا أبوابهم ونوافذهم، حتى تنتهي الفورة، هناك فرق شاسع بين الآمال التي تبدو رقيقة نبيلة وبين الأفعال الفظيعة التي تتبعها، تخطر الآمال كفتيات رائعات الجمال يرقصن ويغنين إلا أنه سرعان ما يتبعهن جيش رهيب يحمل الموت والخراب.

6- لابُدّ لكي يندفع الرجال في مغامرة تستهدف تغييرًا شاملًا من توفر عدة شروط :

- لابد أن يشعروا بالتذمّر من غير أن يكونوا فقراء فقرًا مدقعًا.
- يجب أن يكون لديهم الشعور بأنهم عبر اعتناق العقيدة الصحيحة أو اتباع الزعيم الملهم ، أو اعتناق أساليب جديدة في العمل الثوري سيصلون إلى غايتهم .
- يجب أن تكون لديهم تطلعات جامحة إلى المنجزات التي ستجيئ في المستقبل.
- يجب أن يكونوا جاهلين جهلًا تامًا بالعقبات التي ستعترض طريقهم

@rawafed_k @rawafed_k @rawafed-k

الفصل الثاني : الرغبة في بدائل

1- هناك فرق أساسي بين جاذبية الحركات الجماهيرية وجاذبية المنظمات العملية: تقدم المنظمة العملية لأعضائها فرصًا لتطوير الذات ، وتكمن جاذبيتها في تحقيق المصلحة الذاتية لأعضائها . وعلى النقيض من ذلك ، نرى أن الحركة الجماهيرية خاصة في مرحلتها الأولى النشطة ، لا تجذب أولئك الذين يحبون أنفسهم ويحرصون على تطويرها ، بل تستميل أولئك الذين يودون أن يتخلصوا من أنفسهم نهائيًا، تستطيع الحركة الجماهيرية أن تجذب أتباعًا وتحتفظ بهم ، لا لأنها تلبي الحاجة إلى تطوير الذات ، ولكن لأنها تلبي الشوق إلى الخلاص من الذات.

2- إن الإيمان بقضية مقدّسة هو-إلى درجة كبيرة- محاولة للتعويض عن الإيمان الذي فقدناه بأنفسنا.

3- كلما استحال على الإنسان أن يدعي التفوق لنفسه كلما سهل عليه أن يدّعي التفوق لأمّته ، أو لدينه أو لعرقه ، أو لقضيته المقدّسة.

4- ينزع الرجل إلى الاهتمام بشؤونه الخاصة ،عندما تكون جديرة بالاهتمام أما عندما لا تكون لديه شؤون خاصة حقيقية ، فإنه ينزع إلى نسيان شؤونه التي فقدت معناها والاهتمام بشؤون الآخرين الخاصة ، كما أنه يتجه إلى اهتمام غير طبيعي بالشؤون المجتمعية والقومية والعرقية.

@rawafed_k @rawafed_k @rawafed-k

5- إن اعتقادنا أن لدينا واجبًا مقدّسًا إزاء الآخرين كثيرًا ما يكون طوق النجاة الذي نحاول بواسطته إنقاذ أنفسنا من الغرق، وعندما نمد يدنا نحو الآخر فنحن في حقيقة الأمر نبحث عن يد تنتشلنا.

6- من أهم ما يجذب الناس إلى الحركة الجماهيرية أنها تقدم بديلًا للأمل الفردي الخائب، وهذه الجاذبية ذات فاعلية كبيرة في المجتمعات التي تؤمن بضرورة التطور ، حيث يبدو الغد شيئًا مثيرًا ، كما يصبح الإحباط أمرًا فظيعًا.

7- عندما نجد أن اهتماماتنا الذاتية واحتمالات المستقبل لا تستحق أن نعيش من أجلها ، نصبح في حاجة ماسة إلى شيء منفصل عن أنفسنا نحيا له، إن الإخلاص لحركة ما وإعطاءها الولاء المطلق لا يعدو أن يكون محاولة للتعلق بشيء يمنح حياتنا الفاشلة معنى وقيمة.

@rawafed_k @rawafed_k @rawafed-k

الفصل الثالث: التبادلية بين الحركات الجماهيري

عندما يصبح الناس جاهزين للانضمام إلى حركة جماهيرية فإنهم عادة يصبحون جاهزين للالتحاق بأي حركة فاعلة ، وعند اعتناق المؤمن الصادق لحركة ما هذا لا يعني بالضرورة أنه سيبقى كذلك، فعند وجود حركات جماهيرية متنافسة نجد حالات كثيرة من نقل الولاء من حركة إلى أخرى ، وفي هذا العصر تنظر كل حركة جماهيرية إلى أتباع الحركات الأخرى كأعضاء محتملين يمكن نقل ولائهم إليهم، قال الزعيم النازي روم : إذ إن بوسعهم تحويل أشد الشيوعيين إليهم نازي متعصب خلال أربعة أسابيع. وحيث إن كل الحركات الجماهيرية تستمد أتباعها من الأنماط البشرية نفسها وتجذب النوعية نفسها من العقول فإن بوسعنا أن نستنتج أن جميع الحركات الجماهيرية تبادلية، وبوسع أي حركة منها أن تحول نفسها إلى حركة أخرى. يندر أن تكون للحركة الجماهيرية طبيعة واحدة فهي كثيرًا ما تظهر خصائصا من حركات أخرى في الوقت نفسه، كانت الصهيونية تمثل حركة قومية وثورة اجتماعية كما أنها في نظر اليهود الأرثوذوكس حركة دينية أيضًا. كثيرًا ما يكون السبيل الوحيد لإيقاف حركة جماهيرية هو إيجاد حركة بديلة، يمكن إيقاف ثورة اجتماعية بتشجيع حركة دينية أو قومية، وفي جنوب الولايات يحول التضامن بين البيض والسود دون قيام ثورة اجتماعية من الفقراء على الأغنياء. إلا أن استبدال حركة بحركة عملية لا تنجح في كل الأحوال وقد تكون باهظة الثمن على الذين يريدون الحفاظ على الحاضر كما عليهم ألّا يغامروا باللعب في الحركات الجماهيرية حيث توجد بدائل أكثر أمنًا مثل الهجرة إلى الخارج.

@rawafed_k @rawafed_k @rawafed-k

تحقق الهجرة للمحيطين الأمل الذي يتوقون إليه عند الانضمام إلى حركة جماهيرية : التغيير والبداية الجديدة، ونظرًا للشبه بين أتباع الحركات الجماهيرية والراغبين بالهجرة ، فقد تكون الهجرة الجماعية ميدانًا خصبًا للحركات الجماعية، كما تطورت هجرة اليهود القدماء من مصر إلى حركة دينية وقومية. كل حركة جماهيرية هي على نحو أو آخر ، "هجرة" أي حركة نحو "أرض الميعاد", وعندما تسمح الظروف للحركة ، فإنها تنطلق بالفعل إلى تلك الأرض ، كما حدث مع تدفق الصهاينة على فلسطين. وتلجأ الحركات الجماهيرية النشطة إلى الهجرة ، عندما تكون بصدد غزو خارجي ، أو حرب صليبية ، أو الاستيطان في أراضٍ جديدة.

@rawafed_k @rawafed_k @rawafed-k

القسم الثاني

الأتباع المتوقعون

@rawafed_k @rawafed_k @rawafed-k

الفصل الرابع : دور المنبوذين في الشؤون الإنساني

إن مسرحية التاريخ يمثلها عادة طرفان ، الصفوة من جانب ، والغوغاء من جانب آخر ، دون مبالاة بالأغلبية التي تقع في الوسط، وكثيرًا ما يكون المعيار على الأمة ، هو وضع أقل أفرادها شأنًا وكثيرًا ما يتحدد مصير الأمة بالعناصر الأقل قدرًا فيها. إن السبب الذي يجعل الغوغاء يؤدون دورًا مهما في مسيرة الأمة هو أنهم لا يكنّون أي احترام للأوضاع القائمة وهم على استعداد لتحطيم كل شيء ولنشر الفوضى، إن الغوغاء دومًا في مقدمة الأتباع ، سواء كانوا بصدد ثورة أو هجرة جماعية أو غيرها ، وهم من ثم يطبعون بطابعهم الحركات التي تغير طبيعة الأمم ومسار التاريخ. إن المنبوذين والمهمشين هم المادة الخام التي يصنع منها مستقبل الأمة، إن الأمة التي تخلو من الغوغاء هي التي تتمتع بالنظام والسلام والاطمئنان، إلا أنها أمة تفتقر إلى خميرة التغيير.

المتذمرين يوجدون في كل مجالات الحياة إلا أنهم يوجدون بكثرة في بعض الجماعات مثل الفقراء.

@rawafed_k @rawafed_k @rawafed-k

الفصل الخامس: الفقراء

محدثو الفقر

عادة ما يكون محدثو الفقر، الفقراء الذين لم يطل عهد فقرهم ، هم الذين يشعرون بالإحباط ؛ لأن ذكرى الأشياء التي فقدوها لا تزال حية في دمائهم هؤلاء هم الذين يسارعون إلى الالتحاق بأي حركة جماهيرية صاعدة.حتى وقت قريب كان محدثو الفقر ينحدرون من طبقة الملّاك ، سواء في المدن أو الأرياف ، إلا أنه مؤخرًا ، ولأول مرة في التاريخ ، تحول العمال العاديون إلى محدثي فقر. يعدّ العامل في الدول الغربية البطالة أمرًا مهينًا للكرامة وأنه تعرض للافتقار والأذى، نتيجة للأوضاع القائمة الظالمة يجد نفسه مستعدًا للاستماع إلى الذين ينادون بالإطاحة بها.

الفقراء فقرًا مدقعًا

إن حياة الفقراء الذين يعيشون على حافة الجوع أبعد ما تكون عن الفراغ، إن الصراع اليومي للبقاء على قيد الحياة يجعلهم بلا دقيقة من الفراغ وهذا " يحفز على الجمود ، لا على التمرد". ما حاجة هؤلاء إلى أهداف عليا تتجاوز الذات تمنح حياتهم معناها ؟ لذلك هؤلاء الفقراء محصنون ضد الحركات الجماهيرية. إن البؤس في حد ذاته لا يقود تلقائيًا إلى التذمر، كما أن درجة التذمر غير مرتبطة بدرجة البؤس، يبلغ التذمر أعلى درجاته حين يكون البؤس محتملًا، أي حين تتحسن الأوضاع على نحو يسمح بالاعتقاد أن بالإمكان تحسينها أكثر فأكثر، فوجئ دي توكيفيل خلال دراسة حالة المجتمع في فرنسا قبل الثورة، حين اكتشف أنه "لم يشهد أي مدة من المدد التي أعقبت ثورة ١٧٨٨م رخاءً شاملًا كالذي شهدته مدة العشرين سنة التي سبقت قيام الثورة." وقاده هذا الاستنتاج إلى الآتي: "ازداد تذمر الفرنسيين مع ازدياد رخائهم."

@rawafed_k @rawafed_k @rawafed-k

يبدو أن درجة التذمّر تتناسب عكسيًا مع درجة البعد عن الهدف المنشود: كلمّا اقتربنا من الهدف، كلما زاد التذمّر. إن احباطنا عندما نملك الكثير، ونريد المزيد يفوق إحباطنا عندما لا نملك شيئًا ونريد القليل. نحن نغامر في سبيل الحصول على الكماليات أكثر مما نغامر لكي نحصل على الضروريات. هناك أمل يشجع على الثورة، وأمل يشجع على الصبر، وهذا هو الفرق بين الأمل المباشر والأمل البعيد. تبشر الحركات الجماهيرية الصاعدة بالأمل المباشر، لا شيء يحث أتباع هذه الحركات على التحرك مثل الاعتقاد أن الأمل على وشك التحقق، تنشغل الحركة التي وصلت إلى الحكم بالحفاظ على الوضع القائم ، وتشجع على الطاعة والصبر بعد أن كانت تدعو إلى الأعمال الفورية العفوية: "عندما نحلم بما لا نرى، فبوسعنا أن نصبر في انتظار تحقيقه."

الفقراء الأحرار

الأرقاء فقراء، إلا أنه حين يكون الرق منتشرًا ومتجذرًا لا يكون هناك احتمال أن تقوم حركة جماهيرية، إن المساواة المطلة بين الأرقاء تزيل أي شعور بالإحباط الفردي. إن الحرية تزيد الإحباط بقدر ما تخفضه، إن توافر حرية الاختيار تضع اللوم كله على عاتق الفرد، وتصبح الحرية عبئًا على الشخص، حين يفتقر إلى المواهب التي تمكنه من تحقيق أي شيء يلجأ الناس إلى الحركة الجماهيرية ؛ ليتحرروا من ثقل المسؤولية الفردية.

إن أكثر البيئات صلاحية لنمو الحركات الجماهيرية هي المجتمعات التي تتمتع بقدر كبير من الحرية. لا تطلق الحركات الجماهيرية ، بما فيها الحركات التي تنطلق باسم الحرية في مواجهة نظام مستبد، الحريات الفردية في مرحلتها الأولى مادامت الحركة منهمكة في صراع مع النظام

@rawafed_k @rawafed_k @rawafed-k

القائم ، أو كانت بحاجة إلى الدفاع عن نفسها ضد أعداء داخليين أو خارجيين، فإن شغلها الشاغل هو الوحدة والتضحية بالنفس ، الأمر الذي يعني حرمان الفرد من إرادته ومنطقه والمزايا التي يتمتع بها, إن أتباع الحركات الصاعدة يشعرون شعورًا قويًا بالحرية برغم أنهم يعيشون في جو صارم يفرض عليهم الالتزام المطلق بالقواعد والتعليمات ، ويأتي هذا الشعور بالحرية من إفلاتهم مما يعكر صفو حياتهم الفردية من عقبات وأعباء وقنوط ؛ يصبح هذا الإفلات في نظرهم إنقاذًا وتطهيرًا , كما أن الشعور بحدوث تغيير عظيم يعطي إحساسًا بالحرّية على الرغم من أن التغيير يتم في جو من القمع.

إن الذين يشكون فشل حياتهم وقبحها يتوقون إلى المساواة أكثر من توقهم إلى الحرّية ، فهم محبطين تحاصرهم عيوبهم ، يعزون فشلهم إلى القيود والمعوقات الخارجية وعلى الرغم من أنهم أكثر الناس صراخًا في سبيل الحرية إلا أنهم في حقيقة الأمر ، يتمنون أن تزول الحرية المتاحة للجميع ويودون إلغاء المناقشة الحرة، وما ينتج عنها من امتحان دائم للفرد في المجتمع المفتوح، وهكذا لا يستطيع أحد أن يميزهم عن غيرهم ، أو يقارنهم بغيرهم ويفضح عجزهم.

إن المساواة بلا حرية تخلق نظامًا اجتماعيًا أكثر استقرارًا من الحرية بلا مساواة.

@rawafed_k @rawafed_k @rawafed-k

الفقراء المبدعون

لا شيء يعزز ثقتهم بالنفس ، ويساعدهم على العيش مع الفقر ، كالقدرة المستمرة على الإبداع ، وعندما يقترن الفقر بالإبداع فإنه يكون عادة خاليًا من الإحباط وهذا ينطبق على الحرفي الماهر في حرفته، وعلى الكاتب الفقير، وعلى الفنان وهلّم جرًا. ليس من المستبعد أن يكون اختفاء الحرف اليدوية في الأوقات المعاصرة سببًا في تزايد الإحباط وفي انجذاب الفرد إلى الحركات الجماهيرية. مما يثير الانتباه أن غياب القدرة الإبداعية لدى الفرد مؤشر على نزعة قوية تدفعه إلى الالتحاق بالحركات الجماهيرية، وهنا نرى بوضوح العلاقة بين الرغبة في الإفلات من الذات المحبطة والاستجابة للحركات الجماهيرية.

الفقراء المترابطون

إن الفقراء الذين ينتمون إلى مجموعة مترابطة، سواء كانت قبيلة أو عائلة أو فئة عرقية أو دينية، لا يكادون يشعرون بالإحباط، ومن ثم لا يحسون برغبة في الانضمام إلى حركة جماهيرية، والفقير الذي ينتمي إلى مجموعة لا يحكم على نفسه بالفشل ، ولا يعد نفسه مسؤولًا بالكامل عن المعوقات التي تعترض مجرى حياته ، الأمر الذي يجعله بمنأى عن الإحساس بالعجز، مثل هذا من المحتمل أن روابط .الشخص أقل استجابة للنداءات الثورية من الشخص المستقل تمامًا الأسرة القويّة في الصين كانت السبب الذي أبقى جماهير الصين، عبر عصور طويلة محصنة ضد الحركات الجماهيرية، وعلى هذا فإن على الحركات الجماهيرية الصاعدة أن تلجأ إلى تحطيم كل الروابط بين الجماعات إذا أرادت أن يزداد أتباعها.

@rawafed_k @rawafed_k @rawafed-k

ومن الناحية الأخرى ، عندما نلاحظ أن الحركة البلشفية في روسيا تدعو إلى تعزيز روابط العائلة وتشجيع التماسك القومي والعرقي والديني ، فمعنى هذا أن الحركة اجتازت مرحلتها الديناميكية الأولى ، وتحولت إلى مؤسسة لها نمطها وأسلوبها لا يهمها شيء بقدر ما يهمّها أن تحافظ على ما أنجزته.

أبدت الحركات الجماهيرية كلها في مراحلها الأولى عداء تجاه الأسرة ، وفي سبيل هذا لجأت إلى إضعاف السلطة الأبوية وإلى تسهيل الطلاق ، وإلى تحمل مسؤولية إطعام الأطفال وتغذيتهم وتسليتهم وإلى تشجيع العلاقات غير المشروعة بين الجنسين. لقد هاجم أتباع كونفوشيوس الحكيم الصيني موتى زوج الذي دعا إلي حب الجميع ، قائلين: إن هذا الحب الجماعي سوف يؤدّي إلى إضعاف الأسرة وتفكك المجتمع، إن المبشّر الذي يجيء ويقول: "اتبعني"، يعمل في حقيقة الأمر على تفكيك الأسرة وإن كان لا يشعر بنتائج عمله ولا يحس بأي عداء نحو الأسرة ولا توجد لديه نية في تحطيمها. أدّى غزو اليابان الصين بلا شك إلى هدم روابط الأسرة الصينية و ساعد على نشوء الاستجابة للنداءات القومية والشيوعية , أمّا في العالم الصناعي فقد تفككت عرى الأسرة بسبب العوامل الاقتصادية , من ناحية أخرى أدى استقلال المرأة عن زوجها تسهيل الطلاق , ومن ناحية ثانية أدّى استقلال الأبناء عن آبائهم إلى إضعاف السلطة الأبوية , وساعد على تفكيك الأسرة في وقت مبكر, ومن ناحية ثالثة أدى النزوح الكبير في الأرياف والقرى إلى الحواضر الصناعية الكبرى إلى إضعاف الروابط العائلية , كل هذه العوامل شاركت على إضعاف الأسرة و ظهور الحركات الجماهيرية في العصور الحديثة.

@rawafed_k @rawafed_k @rawafed-k

إن نموذج تطوير الذات الذي تطرحه الحضارة الغربية أمام الشعوب المختلفة يأتي ومعه وباء الإحباط الفردي. لأن كل ما يجلبه الفرد من مزايا لا يعادل شعور الطمأنينة الذي كان الفرد يشعر به وهو في أحضان بيئة مترابطة. حتى عندما يحصل المواطن المحلي الذي يقلد الغرب على الثروة ، فإنه يظل شقياً ، والحركات القومية في البلاد المستعمرة هي محاولة لاستعادة الوجود الجماعي. حاولت الدول الغربية الاستعمارية أن تقدم للسكان المحليين هدية الحرية الفردية وما يتبعها من استقلال فردي ، وحاولت تعليمهم الاعتماد على الذات إلا أن المحصلة النهائية كانت شعور الفرد بالعزلة وهو لم يزل غير ناضج وغير مستعد. إن الرغبة المحمومة في الذوبان في الجماهير التي تشهدها الدول الغربية ، كما تشهدها مستعمراتها هي تعبير عن محاولة يائسة للإفلات من وجود فردي بلا فعالية وبلا معنى. يجب على الدولة الاستعمارية أن تنمي الترابط الاجتماعي وروح المساواة والإخاء بين السكان المحليين، ويمكن بذلك إيقاف النزعات الثورية قبل أن تبدأ. عندما نفترض وجود أحسن النوايا لدى الدولة الاستعمارية ، عندها نفترض أن هدفها الوحيد هو نشر الرخاء والتقدم بين الشعوب المختلفة فإن هذه الدولة لابد وأن تشجع الروابط الاجتماعية. إن تشجيع الترابط الاجتماعي كوسيلة لمنع التمرد في المستعمرات يمكن أن يستخدم في مجال آخر هو منع الاضطرابات العمالية داخل البلاد الصناعية الاستعمارية.

@rawafed_k @rawafed_k @rawafed-k

إن الشعور العميق بالتضامن سواء كان عرقياً أو دينياً أو قومياً ،هو خير ضمانة ضد الاضطرابات العمالية. من الواضح أنه لكي تنجح الحركة الجماهيرية ، فلا بد لها من تطوير تنظيم جماعي متماسك قادر على اجتذاب القادمين وصهرهم ، العامل الحاسم هو تنظيمهم الجماعي الذي يستطيع صهر المحبطين فيه صهراً كاملاً. يبدو أن القاعدة هي أنه بمجرد أن يضعف نمط من التنظيم الجماعي تصبح الظروف المواتية لصعود حركة جماهيرية ونجاحها في إيجاد تنظيم جماعي أشد تماسكاً وقوة من التنظيم المنهار ، وعندما يضعف تأثير الدين بسبب الخلافات داخله فإنه من المتوقع أن تكون الحركات الصاعدة اشتراكية أو قومية أو عرقية. وعندما يكون الترابط قوياً يصعب على الحركة الجماهيرية أن تجد لها مكاناً.

الفصل السادس: العاجزون عن التأقلم

إن احباط العاجزين عن التأقلم يتراوح في شدته من حالة إلى أخرى. العاجزون عن التأقلم بصفة مؤقتة: أولئك الذين لم يجدوا بعد موقعهم في الحياة ولكنهم لا يزالون يأملون في الحصول عليه وينتمي المراهقون إلى هذه الفئة. فنجدهم قلقين ومتذمرين يسيطر عليهم الخوف من أن أحسن سنوات عمرهم ستذهب هدراً قبل أن يحققوا أهدافهم ، لذا فإن أقل بارقة من الأمل تعيدهم إلى التأقلم مع العالم ومع ذواتهم.

أما العاجزون عن التأقلم عجزاً دائماً فهم أولئك الذين لا يستطيعون بسبب نقص في الموهبة أو عيب آخر لا يقبل العلاج في الجسم أو العقل ، من تحقيق الشيء الوحيد الذي يصبوا كيانهم إلى تحقيقه. يثبت هؤلاء أننا لا نشعر بالرضا عند تحقيق شيء غير الشيء الذي نريده

@rawafed_k @rawafed_k @rawafed-k

إن وضع الأقلية حرج دائماً بصرف النظر عن الضمانات المستمدة من القانون أو القوة التي تتمتع بها الأقلية. إن الإحباط الذي ينشأ من عدم الشعور بالأمن ينقص في حالة الأقلية التي تنوي الحفاظ على هويتها ، ويزداد في حالة الأقلية التي قررت التفكك والذوبان في المجتمع ، فنجد داخل الأقلية التي تنوي الاندماج فئتين ، الأكثر نجاحاً والأقل نجاحاً (اقتصادياً واجتماعياً) هما أشد عرضة للإحباط من الفئات الأخرى ، إن الشخص الفاشل يشعر بعدم بالانتماء ، فإن شعوره بالفشل يتضاعف مع شعوره بعدم الانتماء إلى الأغلبية ، ونجد الشعور نفسه في الأفراد الأقلية الذين وصلوا إلى قمة السّلم الاقتصادي والثقافي. فإن ثقة كل فرد منهم تجعلهم ينفرون من الاعتراف بالنقص الذي يواكب عملية الاندماج. وهكذا نرى أن أقل الناس نجاحاً وأكثرهم نجاحاً في الأقلية التي تنوي الذوبان هم الأكثر استجابة لنداء الحركة الجماهيرية

لعله لا يوجد مؤشر على نضج مجتمع ما للحركة الجماهيرية أدق من انتشار الملل الذي لا يجدي معه علاج ، في كل التحليلات التي تتناول فترات ما قبل الحركة الجماهيرية هناك إشارة إلى شعور عام باللامبالاة. عندما يشعر الناس بالملل فإنهم في الحقيقة يعلمون أن مصدر الملل الأول الشعور بخواء الحياة ، ولا يشعر الإنسان بالملل عندما يكون منهكاً في عمل إبداعي، أو في مهنة تستنفذ طاقاته ، أو في صراع دائب من أجل العيش. والملل هو الذي يفسر لنا ظاهرة أخرى ، كثرة العوانس السيدات اللواتي تجاوزن منتصف العمر في بدايات الحركة الجماهيرية ، إن الملل الذي تشعر به العوانس والنساء اللواتي لم يعد بوسعهن العثور على السعادة والرضا في الزواج

@rawafed_k @rawafed_k @rawafed-k

ناتج أساساً عن ضيقهن بحياة عقيمة وفاشلة. وعندما يعتنق هؤلاء النسوة قضية مقدسة يسخرون لها وجودهن كله وطاقاتهن كلها ، فإنهن يجدن حياة جديدة مليئة بالمعنى والهدف.

إن العبارة التي تزعم أن التعصب الوطني هو الملاذ الأخير للمنحلين هزل ينطوي على شيء من الجد ، كثيراً ما تكون الوطنية المحمومة مهرباً من تعذيب الضمير ، من الغريب أن الجاني والمجني عليه ، يجدون في الحركة الجماهيرية الخلاص من حياة ملوثة ، يبدو أن الشعور بالظلم والشعور بالندم يدفعان الناس في الاتجاه نفسه. يظهر أحيانا أن الحركة الجماهيرية مصممة خصيصا لتلائم احتياجات مرتكبي المعاصي ، حيث تتيح للفرد منهم تطهير نفسه وإتاحة الفرصة له لممارسة نزعاته ومواهبه ، إن الاستسلام التام المصدر الذي يمد الحركة الجماهيرية بوحدتها وحيويتها هو تضحية للتعبير عن الندم ، و من الواضح أنه لا يوجد ما يستوجب التضحية بالندم مالم يكن هناك شعور عميق بالذنب، تتعاطف كل الحركات الجماهيرية مع المجرم و تحاول بكل الوسائل اجتذابه . عندما يضعف تأثير الرأي العام بقوة القانون ، ولا يكون الفقر مدافعاً ، فإن الضغوط على العاجزين عن التأقلم والمحبطين كثيراً ما تنتهي بهم في أحضان الجريمة. ومن ناحية أخرى لوحظ أنه في حالة صمود المد الثوري ، سواء كان وطنياً أو دينيا أو قوميا أن معدل الجرائم العادية ينخفض. العمل الجماعي والتضحية بالنفس:

تستمد الحركة الجماهرية حيويتها من نزهة أتباعها إلى العمل الجماعي والتضحية بالنفس ومن المستحيل أن نتفهم طبيعة الحركات الجماهيرية ما لم ندرك أن همها الأساسي هو خلق قنوات للعمل الجماعي والتضحية بالنفس، وتطويرها وإبقاؤها. كما أن التعرف على هذه القنوات يقودنا

@rawafed_k @rawafed_k @rawafed-k

إلى التعرف إلى المنطلق الداخلي لها وأي جماعة منظمة تحاول أن تخلق وحدة مترابطة واستعداداً دائماً للتضحية بالنفس تكتسب الكثير من سمات الحركات الجماهرية. وعندما تتراخى وحدتها الجماعية فإنها تفقد الكثير من الخصائص، إن المحبطين إحباطًا شديداً تنمو لديهم الرغبة في العمل الجماعي والتضحية بالنفس. إن القدرة على العمل الجماعي تمشي يداً بيد مع القدرة على التضحية بالنفس ويتطلب ذلك أن يتخلى الفرد عن خصوصيته وآرائه الشخصية وعن ممتلكاته

إن آلية غرس الاستعداد للقتال والموت تتكون من فصل الفرد عن نفسه وعما تريد نفسه الحقيقية أن يكون. عوامل تشجع على التضحية بالنفس:

1- التماهي مع المجموع

لكي تهيئ شخصاً ما للتضحية بالنفس فلا بد من سلخه عن هويته الذاتية وعن تميزه , وأكثر الطرق فاعلية في الوصول إلى هذا الهدف , هو صهر الفرد كلية في الجسم الجماعي , فيصبح الفرد ليس له معنى أو هدف أو مصير إلا من خلاله , وما دام هذا الجسم الجماعي حياً فلا يمكن للفرد أن يموت. إن طمس الاستقلال الفردي يجب أن يكون كاملاً , بحيث يصبح على الفرد في أي عمل أن يربط نفسه بالجماعة , بالقبيلة , بالحزب. وألا يراوده شعور بالعزلة , وهذا بالتأكيد تصوير بدائي عند القبائل البدائية , إلا أن الحركات الجماهيرية تحاول أن تقارب هذا النموذج البدائي.

إن القدرة على تحمل التعذيب تنبع جزئياً من تماهي الفرد مع مجموعة ما. إن نبع القوة لا يكمن في كونه فرداً، بل في كونه جزءاً من كيان قوي مجيد لا يمكن أن يتحطم , ومن المخيف أن ندرك

@rawafed_k @rawafed_k @rawafed-k

أن القادة الشموليين المعاصرين عندما اكتشفوا هذا المصدر من مصادر الشجاعة المستميتة , استخدموه لا ليسرقوا أرواح أتباعهم , بل لتحطيم أرواح معارضيهم.

2- الخيال

يصبح الموت والقتل أسهل عندما يصبحان جزءاً من طقوس درامية في مسرحية، أهم واجبات القائد في الحركة الجماهيرية طمس حقيقة الموت والقتل المرعبة. إن دور الخيال في تلطيف قسوة القتل والموت يتضح أكثر في حالة الجيوش , فالملابس العسكرية والأعلام و غيرها كلها وسائل لفصل الجندي عن كونه مكون من لحم ودم , يؤدي الخيال في ممارسة الحركات الجماهيرية دوراً دائمًا لا يشابهه دور أي عنصر آخر. إن الرغبة في الهرب من النفس الفاشلة أو طمسها يوجد لدى المحبطين قدرة كبيرة على التخيل , والرغبة في خلق مشهد مسرحي , واستعداداً للتماهي مع الحشود المثيرة

3- احتقار الحاضر

لكي تتمكن من التخلص من قبضة الماضي الحديدية، فلا بد من وحدة قوية وتضحية بالنفس لا حدود لها .أي يجب أن يكون الأشخاص مستعدين للتخلي عن أي فرصة من الاستفادة من الحاضر. أن يخسر المرء حياته يعني أنه لا يخسر سوى الحاضر، لا تكتفي الحركة الجماهيرية بتصوير الحاضر على أنه بغيض وبائس، بل تصوغ للفرد وجوداً متهجماً وقاسياً ومتسلطاً ومملاً , وتدين كل الشهوات والرغائب ووسائل الراحة وتمجد الحياة الصعبة .

@rawafed_k @rawafed_k @rawafed-k

إن الأهداف غير الواقعية التي تضعها الحركة الجماهيرية لنفسها ماهي إلا جزء من حملتها ضد الحاضر، والأشياء الواقعية هي جزء من الحاضر . إن تمجيد الماضي يمكن أن يكون وسيلة للاستهانة بالحاضر وما لم يمتزج بتوقعات معقولة عن المستقبل فسوف يؤدي إلى تعظيم الماضي على نحو يقود إلى الحذر. إن الحركة الجماهيرية بالرغم من أنها تبدأ بالتنكر للماضي فإنها تنتهي بخلق صورة جذابة . إن الوعي بالتاريخ يعطي الفرد انطباعًا بالاستمرارية، فيرى المؤمن الصادق نفسه جزءاً من الخلود، يرى أتباع الحركة الجماهيرية أنفسهم جنوداً يزحفون إلى المستقبل، إنهم لا يشعرون بأنفسهم الحقيقية ولكن بأنهم ممثلون يؤدون دوراً . من القدرة على احتقار الماضي تجيء القدرة على التكهن بما سيجيئ بعده . الذين يحاربون الحاضر هم الذين يزرعون بذور التغيير واحتمالات البدايات الجديدة . إن الشعور بأننا نحيا حياة آمنة سعيدة يجعل كل الحقائق الأخرى مهما كانت محتملة الوقوع، خيالية وغامضة. الذين يرفضون الحاضر ويوجهون قلوبهم وأنظارهم إلى الأشياء التي سوف تحدث، يستطيعون توقع التغيير. يرى المحافظ أنه لا يمكن أن يوجد وضع أفضل من الوضع القائم، ويحاول بجهده صياغة المستقبل على مثال الحاضر. ويذهب المحافظ على ماضيه ليطمئن نفسه على المستقبل، وموقف المتشكك من الحاضر في نظره محصلة كلما كان وكل ما يمكن ان يكون، أما الليبرالي فيرى أن الحاضر هو وليد شرعي للماضي وأنه ينمو ويتطور باستمرار، ليولد مستقبلاً أفضل وأي أذى يمس الحاضر فهو سيصيب المستقبل .

@rawafed_k @rawafed_k @rawafed-k

كل هؤلاء الثلاثة يحبون الحاضر أما الثوري والرجعي فيكرهان الحاضر ويعدانه انحرافاً وتشويهًا , وكلاهما مستعدان للهجوم على الحاضر , ومنفتحان على فكرة التضحية بالنفس , والخلاف بينهما ينحصر في النظرة إلى الطبيعة البشرية , فيؤمن الثوري بقابليتها للتطور إلى الأفضل , والرجعي لا يعتقد ذلك , ينزع الرجعي إلى الثورية عندما يحاول أن يخلق مثل الماضي من جديد . إن المزج بينهما ظاهرة ملمسها بوضوح عند المنخرطين في حركات الإحياء القومي . ونلاحظ أن دعوة الأنبياء كانت تشمل الرجوع إلى العقائد القديمة مع إقامة مجتمع جديد بحياة جديدة . عندما يسرف المحبطون في اتهام الحاضر وانتقاصه، فإنهم يخففون من وطأة إحساسهم بالفشل والعزلة .

إن الذين يفشلون في أمورهم الحياتية اليومية ينزعون إلى البحث عن المستحيل كوسيلة لستر عيوبهم . وفشل المحبط في القيام بذلك يولد لديه شجاعة غير عادية ويشعر المحبط بالرضا عن الوسائل العنيفة التي تتبعها الحركة الجماهيرية أكثر من شعوره بالرضا عن أهداف الحركة .

4- الأشياء التي لم تكن

هناك حقيقة محيرة ومزعجة وهي أن الذين يملكون بالفعل شيئاً يستحق القتال دفاعاً عنه لا يشعرون برغبة في القتال، الأشياء التي لم تكن هي أعظم وأقوى من الأشياء التي كانت . إنه من الغريب أن نجد أن أولئك الذين يحتضنون الحاضر ويتمسكون به , هم الأقل استعداداً للدفاع عنه, والذين يحتقرون الحاضر هم الذين يحصلون على جوائز المعركة , إن الرغبة في القتال لا تنبع من مصلحة ذاتية بقدر ما تنبع من أشياء غير محسوسة كالتقاليد , أو الشرف , وقبل هذا كله الامل

@rawafed_k @rawafed_k @rawafed-k

5- العقيدة

إن الاستعداد للتضحية بالنفس يعتمد على مدى تجاهل المرء لحقائق الحياة، والشخص القادر على أن يراقب تجربته الذاتية ويفحصها لا يرحِّب بفكرة الشهادة .التضحية بالنفس عمل غير عقلاني ولا يجيء نتيجة بحث وتحليل، وتحقق الحركات الجماهرية هدفها بوضع حجاب بين أتباعها وبين حقائق العالم عن طريق تصوير عقيدتها في صورة الكمال المطلق . والحقائق التي يبني عليها المؤمن الصادق النتائج تنبع من نص مقدس : (لابد من التشبث بالعالم) إن قدرة المؤمن الصادق على أن يغمض عينيه ويسد أذنيه عن الحقائق التي لا تستحق هي التي تولد حماسه الدائم وثباته على موقفه، لا يمكن أن يخاف الخطر . إن اعتقاده بعصمة العقيدة التي يعتنقها تجعله لا يقيم أي وزن للشكوك . ومن هنا نجد أن فاعلية عقيدة ما لا تقاس بعمقها أو سموها أو صدق المحتوى التي تنطوي عليها بل بقدرتها على حجب الشخص عن نفسه وعن العالم . إن فاعلية العقيدة لا تنبع من مضمونها ، و لكن من عصمتها عن الخطأ , لا يمكن لأي عقيدة مهما كانت عميقة و سامية ، أن تكون فاعلة ما لم تكن هي الكلمة التي ينبثق منها كل شيء و ينطق بها الانسان , وليس من الضروري لكي تكون العقيدة فاعلة أن يفهمها المرء , ولكن من الضروري أن يؤمن بها , و عندما تصبح العقيدة مفهومة تفقد الكثير من قوتها , و هذا ما نجده حين يطلب من المؤمنين أن يبحثوا عن الحقيقة المطلقة بقلوبهم لا بعقولهم , و عندما تبدأ حركة في عقلنة عقيدتها و جعلها مفهومة فمعنى هذا أن فترتها الديناميكية قد انتهت , و أنها أصبحت حريصة على الاستقرار, إن استقرار النظام يعتمد على ولاء المثقفين ، و لهذا أصبح هم الحركة الجماهيرية

@rawafed_k @rawafed_k @rawafed-k

استقطاب المثقفين بدلا من تحريض الجماهير على التضحية بالنفس. وعندما يكون في العقيدة جانب واضح، فإن المؤمنين الصادقين ينزعون إلى جعله معقدا وصعبا، فتحمل الكلمات البسيطة الكثير من المعاني وينظر إليها كما لو كانت رموزا في شفرة سرية ، ولهذا السبب تجد قدرا من الأمية عند أكثر المؤمنين الصادقين ثقافة . لا تواجه من يعتنق الحقيقة المطلقة أي مفاجآت أو أشياء مجهولة ؛ كل الأسئلة أجيب عنها ، كل القرارات اتخذت ، وكل الاحتمالات عرفت، لا يعرف المؤمن الصادق التردد، إن المؤمن الصادق يجرؤ على أن يجرب الصعب والمستحيل، لا لأن عقيدته تعطيه إحساسا بالقوة الخارقة فحسب ، بل لأنها تمنحه أيضا ثقة مطلقة في المستقبل. إن الحركة الجماهيرية الصاعدة ترفض الحاضر وتركز اهتمامها على المستقبل، هذا الموقف يمنحها الثقة ويجعلها قادرة على المضي قدما ، فتعبث بالحاضر وبسلامة أتباعها وثرواتهم وحياتهم. هل يمكن غسل دماغ المحبطين بسهولة لا تتوفر عند غيرهم ؟ وهل هم سذج يصدقون كل شيء؟ هناك على ما يبدو علاقة بين عدم الرضا عن النفس والنزعة إلى سرعة التصديق، إن الرغبة في الهرب من أنفسنا ، كما هي عليها تولد رفضا لقبول الحقائق والمنطق الصارم . لا يوجد خلاص للمحبطين فيما هو واقع وما هو ممكن ، إلا عن طريق المعجزة التي تتسلل من خلال ثقوب في جدار الحقيقة الحديدي، ويبدو أن هناك قاعدة تقول : إن الذين لا يجدون صعوبة في خداع أنفسهم يسهل خداع الأخرين لهم، ومن ثم فمن السهل اقناعهم وقيادتهم.

@rawafed_k @rawafed_k @rawafed-k

6- التطرف

من العجيب أنه حتى التغيرات المنطقية والمرغوبة ، مثل تحديد المجتمعات الراكدة ، ولعل استغرابنا يقل عند ما نتذكر أن هم الحركات الجماهيرية الأوحد هو أن تغرس في نفوس أتباعها القدرة على العمل الجماعي والتضحية بالنفس. النقطة المهمة هنا، هي أن التغريب عن النفس وهو أمر لابد منه لإعداد العجينة وتهيئتها لاعتناق مبدأ الحركة ، يتم في كل الأحوال تقريبا ، في جو من المشاعر المشحونة، إن إثارة المشاعر هي النتيجة الطبيعة لاختلال التوازن ووحده الفرد الذي يتعايش مع نفسه هو القادر على أن ينظر إلى العالم من حوله بلا انفعال .

عندما تزول حالة التعايش يصبح المرء مجبرا على أن يرفض ويشجب ويسيء الظن في المجتمع ، ويتحول إلى كائن يكتفي بردود الفعل الطائشة. تستطيع الحركة الجماهيرية عبر إثار المشاعر الملتهبة في قلوب أتباعها ، أن تحطم التوازن النفسي الداخلي ، كما أنها تستخدم طرق مباشرة لضمان اغتراب دائم عن النفس، تصف هذه الحركة أي وجود مستقل متميز بأنه وجود منحل شرير. لابد أن يشعر المتطرف بالنقص وفقدان الثقة ، حيث لا يستطيع أن يستمد الثقة من نفسه التي تنكر لها، ولكنه يجدها في الالتصاق المتشنج بالكيان الذي يحتضنه ويجد في ذلك ما يحفز الولاء الأعمى لذلك الكيان، والمتطرف على استعداد للتضحية بحياته ليثبت لنفسه والآخرين أن هذا الفعل هو دوره فيثبت بذلك أهميته. وشعوره المستمد من التحاقه المتشنج بالقضية ليس لكونها سامية فعلا ، ولذا فإن المتطرف ليس إنسانا متمسكا بالمبادئ والسمو وقضية العدالة، ولكن لحاجته إلى شيء يتمسك به، وليس بالإمكان إبعاده عنها بالنقاش و المنطق، بل ويخشى

@rawafed_k @rawafed_k @rawafed-k

أنصاف الحلول، و من ثمة يستحيل إقناعه بالتخفيف من حدة إيمانه المطلق بقضيته. ورغم هذا هو لا يجد صعوبة في القفز من قضية لأخرى، فهو لا يهتم بنوع القضية، على الرغم من ظهور متطرفين متناقضين من حركة جماهيرية لأخرى إلا انهم في الحقيقة متزاحمين في زاوية واحدة ، إن الفرق الحقيقي ليس بين المتطرفين إنما بين المتطرفين والمعتدلين : حيث يضلون متباعدين ويستحيل التقائهم ، ينظر المتطرفين لبعضهم بشك وهم على استعداد للاشتباك و مع ذلك هم أعضاء في التطرف الواحد، وهذا ما يسهل تحول المتطرفين من جهة إلى جهة متطرفة أخرى ، وذلك أسهل عليهم من التحول للاعتدال . إن نقيض المتدين المتعصب ليس الملحد المتعصب ، ولكن المتشكك الذي لا يتخذ موقفا محددا من الدين ، الملحد يعتنق الإلحاد ويتبع مبدأه بحماسة وقوة وبنفس المنطلق نجد أن نقيض الوطني المتطرف ليس الخائن ، بل المواطن المعتدل الذي يحب الحاضر ولا يتطلع إلى الاستشهاد والمغامرات البطولية. والمستبعد أن يستطيع المتطرف الذي هجر قضيته المقدسة ، أو الذي وجد نفسه فجأة بلا قضية أن يتأقلم مع وجود فردي مستقل، الأغلب أنه سيصبح باحثا من قضية لأخرى شأنه كالمسافر المفلس الذي ينتظر مرور سيارة تحمله مجانا. إن الوجود الفردي حتى عندما يكون ذا معنى يبدو في عين المحبط تافها وغير مجد ، يرى المحبط في التسامح علامة الضعف والسطحية والجهل ، ويظل متعطشا إلى تلك الثقة المطلقة التي لا تجيء إلا بالالتحام قلبا وقالبا بعقيدة وقضية ما بحيث لا يهم طبيعة القضية بقدر أن يلتصق بها وأن يتواصل مع أفرادها.

@rawafed_k @rawafed_k @rawafed-k

بل نجده على استعداد للانضمام إلى حرب مقدسة ضد قضيته السابقة شرط أن تكون الحرب شاملة متطرفة بعيدة عن التسامح يعد عقيدتها الحقيقة الأولى والأخيرة

7- الحركة الجماهيرية والجيوش :

وجوه الشبه والفوارق بين الحركات الجماهيرية والجيوش ، أما أوجه الشبه فكثيرة فمنها : كل من الجماهيرية والجيوش هي تنظيمات جماعية ، كل منهما سلب الفرد استقلاله وتميزه ، كل منهما يتطلب التضحية بالنفس ، والطاعة العمياء ، والولاء المطلق ، كل منهما يستعين بالخيال والأوهام للتحفيز على المغامرة والعمل الجماعي ، وكل منهما يصبح ملجأ للفرد المحبط الذي لا يستطيع أن يتحمل وجوده المستقل.

ومع ذلك هناك فروقا جوهرية بين الجيوش والحركات الجماهيرية وهي : لا يهدف الجيش إلى إيجاد أسلوب جديد للحياة ، ولا يشكل طرقا للخلاص، فصحيح أن الجيش يستخدم السلطات لفرض أسلوب جديد من الحياة على الذين يرفضون هذا الأسلوب ، إلا أن الجيوش في الأساس أداة للحفاظ على نظام قائم أو أداة لتوسعته ، والجيش أداة تفعل بالتجنيد وتحل بالتسريح. إلا أن الحركة الجماهيرية تعد نفسها منظمة أبدية ، وأعضاءها ينظمون مدى الحياة، إن الجندي السابق محارب قديم وقد يكون بطلا ، أما المؤمن الصادق السابق فخائن، الجيش أداة لتقوية الحاضر وحمايته ومد نطاقه ، أما الحركة الجماهيرية فهدفها نسف الحاضر، وتسكن هاجس المستقبل الذي يمنحها العزيمة والقوة، وعندما تنشغل بالحاضر فمعناه أنها حققت هدفها ، وهنا ينتهي دورها كحركة وتتحول إلى كيان. يحمل الجيش الشعبي الذي كثيرا ما يكون إنتاج

@rawafed_k @rawafed_k @rawafed-k

حركة جماهيرية بعض خصائصها التي هي : الخطاب المثير ، والشعارات الملتهبة والرموز المقدسة، إلا أنه كأي جيش آخر يحتفظ بتماسكه لا بسبب العقيدة والحماس إنما بالتدريب المستمر والضبط وأخوة السلاح، بعد مدة يفقد الجيش الشعبي سمات الحركة الجماهيرية ويصبح جيشا مولعا بالحاضر ، وبما يتيح من ملذات ومتع شأنه كالجيوش الأخرى. يتعامل الجيش كونه أداة من أدوات الحاضر مع الأهداف الممكنة، ولا يعتمد قادته على وقوع معجزات ، حتى عندما يحمل عقيدة مقدسة فإنه يمكن إقناعه بقبول حلول وسطية، فهو يعرف أنه يمكن أن يهزم ولذا فهو يعرف كيف يستسلم ، وأما قائد الحركة الجماهيرية فيحتقر الحاضر بكل حقائقه بما فيها الجغرافيا والمناخ ، ويحاول أن يتجاوزها بالإيمان بالمعجزات، ويصل احتقاره للماضي أوجه عندما يزداد خطورة ما يواجه، فإنه على استعداد لتدمير بلاده وشعبه على أن يستسلم. تنبع التضحية بالنفس داخل الجيش من الانقطاع للواجب ، من الخيال والأوهام ، من الروح الجماعية والتدريب والتمرين ، والإيمان بالقائد ، ومن المغامرة والتعطش للمجد، وهذه الأدوات خلاف أدوات الحركة الجماهيرية ، تنبع من احتقار الحاضر وكراهية النفس ، وبالإمكان تفعيلها دون جو مشحون بالتوتر، إن الجندي المتطرف عادة تحول إلى جندي و ليس العكس صحيح. الفارق الذي يسترعي الانتباه بين الحركات و الجيوش هو في نظرة كل منهما إلى الغوغاء , حيث ينظر قائد الجيش إلى الغوغاء باعتبار أن جيشه سيعود إليها إذا ما تفكك ، فيرى فيها النزعة للفوضى و التخريب قبل أن يلاحظ نزعتها للتضحية بالنفس , و هكذا يصبح موقفه مزيج من الخوف والاحتقار , أما قائد الحركة الجماهيرية فيستمد الإلهام من المجموعة و الأجواء

@rawafed_k @rawafed_k @rawafed-k

الملتفة بها ، و يعد زئير المجموعة في إذنه صوت القدر، فيرى في الغوغاء قوة قاهرة تحت تصرفه وهو وحده يتحكم بها ، و عن طريقها يدمر الجيوش و الإمبراطوريات و الحاضر كله. العوامل التي تشجع العمل الجماعي:

1- الكراهية

فالكراهية أكثر العوامل الموحدة شمولا و وضوحا، تجذب الكراهية الشخص من نفسه و تنسيه ما حوله ، يومه و مستقبله ، و تحرره من الشعور بالغيرة و الرغبة بالإنجاز، فيصبح الشخص جزءا لا هوية له يتحرق رغبة بالالتحام بالأجزاء التي تشبهه ، ليكونوا جمهورا شديد الاشتعال إن براعة الشخص الذي يعرف كيف يبدأ حركة جماهيرية و يطلقها وكيف يبقيها، تتجلى في معرفة كيف يختار العدو الملائم بقدر ما تتجلى في اختيار العقيدة الملائمة، و وضع برامج تنفيذية , تستطيع الكراهية الجماعية أن توحد العناصر المتنافرة , بل إنها يمكن أن توجد رابطا مشتركا مع عدو على نحو ينخر قواه و يضعف مقاومته. نحن عادة لا نبحث عن حلفاء عندما نحب، بل الحقيقة أننا نعد من يشاركنا حبنا منافسين ومعتدين ، إلا أننا دوما نبحث عن حلفاء عندما نكره ، ومن طبيعة الأمور أنه يجب أن نبحث عمن يقفون معنا عندما تكون لدينا قضية ظلم مشروعة، فهي تجعلنا نتوق للانتقام من الذين ظلمونا. والشيء المحير أنه عندما تكون كراهيتنا لا تنبع من مظلمة واضحة ولا على أي أساس ، فإن حاجتنا لحلفاء تكون أشد إلحاحا، لكراهية غير منطقية هي التي تجعلنا ننضم إلى الذين يكرهون ما نكره ، وهذا النوع من الكراهية هو الذي يتحول إلى عامل فعال للوحدة. تأتي هذه الكراهية غير المنطقية كتغبير عن محاولة يائسة لإخفاء شعورنا

@rawafed_k @rawafed_k @rawafed-k

بالنقص ، أو قلة أهمية ، أو الذنب ، أو أي عيب أخر في دواخلنا، ويتحول احتقار النفس إلى كراهية وأكثر الطرق لتحقيق هذا التحول هو ايجاد أكبر عدد من الذين يكرهون ما نكره.

وحتى عندما تكون هناك قضية ظلم مشروعة فإن كراهيتنا لا تنبع من الظلم الذي مسنا بقدر ما تنبع من إحساسنا بالعجز والفشل والجبن ، أي احتقار أنفسنا . عندما نتفوق على أعدائنا نعاملهم باحتقار وربما بشيء من الشفقة ، ولكننا لا نكرههم، العلاقة بين الظلم والكراهية ليست واضحة، الحقيقة أن الكراهية التي يبعثها الظلم لا توجه دوما نحو الظالمين ، حيث كثيرا ما تتحول إلى شخص أخر لا علاقة له بالأمر. تتضح حقيقة الكراهية أنها تنبع من احتقار النفس أكثر من الشعور بالظلم في العلاقة بين الكراهية وتأنيب الضمير، إن كون الأخرين يملكون ظلامة حقيقية تدعهم لكرهنا يجعلنا نكرههم أكثر من كوننا نحن نملك ظلامة ضدهم . لا نجعل الناس متواضعين عندما نكشف ذنوبهم بل إننا نثير فيهم الكبرياء والعدوانية ، شعورنا أننا على حق مطلق لا يعود كونه ضجة عالية نغرق فيها شعورنا بالذنب في أعماقنا. يعاني أتباع الأديان السامية شعورا بالذنب عند اتساع الهوة بين تعاليم دينهم وواقعهم المملوء بالمعاصي .

وعندما يدخل التطرف فإن الشعور بالذنب يتحول لكراهية سافرة ، ولذا نجد كلما زاد التطرف في مذهب ما رغم سمو المذهب يزداد اتباعه المتطرفون كراهية. إن امتزاج الإعجاب بالكراهية يتضح في تقليدنا لمن نكرههم . ومن المفزع حقا أن نلحظ كيف يعمد المظلومون إلى صياغة أنفسهم على شكل ظالميهم ، ولذا ما يقال إن الشر يبقى حتى بعد أن يذهب فاعلوه صحيح حيث أن الذين لديهم سبب لكراهية الشر يشكلون أنفسهم على شاكلته ومن ثم يديمون

@rawafed_k @rawafed_k @rawafed-k

وجوده. وهكذا نجد أن الكراهية وسيلة سهلة لتحفيز جماعة ما للدفاع عن نفسها ، إلا انها على المدى البعيد ذات ثمن باهظ ونحن ندفع هذا الثمن عندما نتخلى عن القيم التي كنا ندافع عنها في البداية. إن المحبطين يشعرون بكثير من السعادة عندما يشهدون سقوط المحظوظين ، يرى المحبطون في الانهيار الشامل وسيلة لإقامة الإخاء بين الجميع . إن شعور المحبطين المحترق بضرورة إيجاد حياة جديدة ونظام يغديه الاعتقاد انه لا بد من هدم القديم تماما بناء الجديد . أن تشوقهم لعهد جديد مليء بالكراهية كل ما هو قائم وتطلع لنهاية العالم. بوسع الكراهية المتقدة ان تمنح الحياة الفارغة معنى وهدفا . وهنا فإن الأشخاص الذين يعانون من تفاهة حياتهم يعمدون إلى البحث عن معنى جديد لا عن طريق اعتناق قضية مقدسة فحسب، بل باحتضان ظلامات متطرفة وتتيح الحركة الجماهيرية للمحبطين تحقيق الهدفين. إن الوحدة والتضحية بالنفس فيحد ذاتهما عندما يكونان نتيجة عوامل سامية يوجدان قدرة من الكراهية . حتى عندما يتحد الناس بقوة لنشر التسامح والسلام على الأرض ، فإنه من المتوقع أن يشعروا بأي تسامح للذين لا يشاركونهم معتقدهم. هناك عوامل تساعد على نشوء الكراهية في محيط الوحدة والتضحية بالنفس ، إن الاستعداد للتضحية بالذات يجعلنا قادرين على القسوة ، خالية من الرحمة في مواجهة الأخرين. وهناك نقطة أخرى : عندما نهرب من أنفسنا و نصبح جزءا من مجموع ، فإننا لا نتخلى عن المزايا الشخصية فحسب ، بل من مسؤولية شخصية ، عندما نصهر استقلالنا في مجموع الحركة الجماعية ، فإننا هنا نجد الجاذبية للحركة الجماهيرية ،

@rawafed_k @rawafed_k @rawafed-k

ونجد هنا (الحق في الانتهاك) إن تجرد الإنسان من فرديته ، هو شرط أساسي لدمجه في مجموع وجعله قابلا للتضحية بالنفس .

2- التقليد

التقليد عامل اساسي من عوامل التوحيد ان القدرة على التقليد موجودة في الناس جميعا وقد تكون أعظم عند البعض.

ان مشكلة المحبطين الاساسية شعورهم بعيوب أنفسهم وانعدام فاعليتها وهدفهم الرئيسي التخلص من الانفس المكروهة والمبدأ من جديد بقدر رضانا عن أنفسنا بقدر ما تزيد رغبتنا في أن نصبح مثل الاخرين اننا لا نقلد الذين نحتقرهم بل المعجبين بهم أن محاولة التشويش على النفس واخفائها لا يتحقق إلا عن طريق التقليد إن الرغبة في الانتماء الى الآخر هي في الوقت نفسه رغبة في الافلات عن النفس بقدر ما نفقد من الثقة يزداد تقليدنا لنماذج الاخرين ان رفض النفس في حد ذاته يقود الى المزيد من التقليد وتفقد قدرتها في التميز .

كثيرا ما يكون التقليد طريقا مختصرا الى الحل نحن نقلد عندما لا تكون لدينا الرغبة او القدرة او الوقت لتطوير حل جديد وان المستعجلين يقدمون على التقليد ان التوحيد بحد ذاته وسواء كان سببه الاقتناع او القمع او الاستسلام التلقائي ينزع الى زيادة القدرة على التقليد والمدني الذي ينخرط في الجهاز .

@rawafed_k @rawafed_k @rawafed-k

العسكري المترابط يصبح اكثر قدره على التقليد مما كان عليه يوم كان مدنيا والشخص الذي يتم صهره في مجموعه متلاحمه يفقد ذاته ولعل ما نلاحظه في الشعوب البدائية من نزعه الى التقليد يرجع الى كونهم اعضاء في قبائل و عشائر مترابطة ان قدره المجموعة المتلاحمة على التقليد تشكل في الحركات الجماهرية عنصر قوه وخطر في نفس الوقت من السهل صهر اتباع الحركة في المجموع الا انهم يبقون عرضه للتأثيرات الخارجية ان احتقار العالم الخارجي هو الوسيلة الاكثر فاعلية لمنع اثر التقليد المخل بوحدة الجماعة والحركة الجماهرية النشطة تصنع الكراهية في منزله تفوق الاحتقار السلبي.

ان النزعة الى التقليد تمنح الجماعة المتحدة المتماسكة الكثير من المرونة والقدرة على التأقلم تستطيع هذه الجماعة تبني التجديدات وتغيير التوجهات ان التطور السريع الذي شهدته كل من اليابان وتركيا يختلف تماما عما شهدته الصين من تطور بطئ ان روسيا المتحدة تماما تستطيع ان تتبنى اساليب وطرق جديده الاقماع والاقناع ٨٣ كثير من الناس ينزع الى المبالغة في تأثير الاقناع ويعدون الدعاية سلاحا لامثيل لفاعليته ان في الواقع يثبت ان كثيرا من النجاحات الرائعة التي تنسب الى تأثير الدعاية لا علاقه لها بالدعاية لو كان للدعاية فاعلية خارقه تنسب لها لكانت الأنظمة الشمولية في روسيا والمانيا مقبولة الى حد ما.

@rawafed_k @rawafed_k @rawafed-k

ان الدعاية لوحدها لا تنجح الا مع المحبطين. ان الدعاية وحدها مهما كانت مؤثرة لا تستطيع ان تبقى على ايمان الناس بعد ان فقدوه ومن هنا تعمد الحركات الجماهرية عندما ترى الناس لم يعودوا مؤمنين بها كما كانوا من قبل الي اجبارهم باستخدام القوة ان الكلمات اداه لابد منها لتهيئه الارض للحركة الجماهيرية.

عكس ما قد يتوقعه المرء تصبح الدعاية هيسترية ولاعقلانيه عندما تعمل جنب الى جنب مع القمع كل من الذين اعتنقوا المبدأ الجديد باقتناع والذين اقتنعوا قسرا يحتاجون الى ايمان قاطع ان هذا المبدأ وحده هو المبدأ الصحيح والدعاية تساعدنا على تبرير ما نفعله ان المقولة التي تذهب الى العنف يولد التطرف كل من الذين يمارسون العنف والذين يخضعون له ينزعون الى تطوير عقليات متطرفة ان ممارسه العنف تخدم المومن الصادق لا لان الرعب يخيف الخصوم ويسحقهم.

ان عمليات شنق السود في جنوب الولايات المتحدة كانت تغذي ايمان العنصريين البيض وتقويه يمكن للقمع ان يولد التطرف نجد ان القمع العنيف والمستمر يملك قدره التجاري على الاقناع لا في التعامل مع البسطاء والسذج وحدهم لا تكاد توجد حركة جماهيرية ذات أبعاد واسعة وتنظيم دائم تمكنت من تحقيق ما حققته عن طريق الاقناع وحده.

يبدو انه كلما كان امام الحركة الجماهيرية خيار الاقناع والقمع فانه تنزع الى اختيار القمع ان الاقناع عمليه صعبه ذات نتائج غير مضمونه تستطيع القوه الى ان توقف الشد الحركات حيوية وتسحقها الا انها لكي تتمكن من فعل ذلك فلا بد من وجود العقيدة عامل لا يمكن الاستغناء

@rawafed_k @rawafed_k @rawafed-k

عنه لا يمكن للإرهاب النابع من قسوة فرديه ان يذهب الى المدى المطلوب الرعب المقدس لا يعرف الحدود ولا يعرف التردد.

من اين تأتي الرغبة في التبشير؟ ان قوه العقيدة ليست العامل الرئيس الذي يدفع حركه جماهيرية الى نشر عقيدتها في جهات الارض الاربع يبدو ان الرغبة غي التبشير تجي من شك عميق من شعور عدم الثقة في صميم الحركة والتبشيري المتطرف يغذي ايمانه عن طريق اقناع الاخرين باعتناق عقيدته والمذهب الذي تسهل مهاجمه شريعته سوف يكون أكثر المذاهب حرصا على التبشير

القيادة انه من المؤكد أن القائد لا يستطيع خلق الظروف التي تجعلك صعود حركة جماهيرية أمر ممكن لابد أن يكون هناك توق الى القيادة والطاعة وفي غياب الظروف المواتية فإن القائد ومهما كان موهوبا فسيبقى بلا اتباع

عندما يصبح المسرح جاهزا فإن ظهور القائد الموهوب يصبح أمرا محتوم من دون هذا القائد لا يمكن ان تولد الحركة الجماهيرية ان أكثر الظروف نضجا لا تنتج بالضرورة حركه جماهيرية كما ان الانتخابات والتشريعات لا تستطيع ان تفرخ الحركة .

بالتحدي الارادة الحديدية الايمان الذي لا يقبل نقاشا انه وحده يمتلك الحقيقة المطلقة الايمان بمصيره القدرة على الكراهية المتقدة احتقار الحاضر القدرة على تحليل الطبيعة البشرية ان قوه القائد الأسطورية لا تتجلى في تحكمه في الجماهير الغفيرة بقدر ما تظهر قدرته على السيطرة التامة على مجموعه صغيره من الرجال الاكفاء اهم الصفات المطلوبة في قائد الحركة الجماهيرية

@rawafed_k @rawafed_k @rawafed-k

الشجاعة والإيمان المطلق بالقضية المقدسة واهم من ذلك القدرة على خلق الولاء عند مجموعة من المساعدين الفاعلين.

ان الآراء الفجة التي يصبر عنها عدد من قاده الحركات الجماهرية والعنصرية قد تدفع المرء إلى الاعتقاد بأن قدرا من السذاجة ينفع القائد الا ان هذا غير صحيح١

لم تكون سذاجة هتلر هي التي مكانته من اجتذاب الاتباع كان السبب الثقة المطلقة في النفس ويمكن للقائد الحكيم الذي يتبع مسار حكمته إلى النهاية أن يحقق قدرا ممثلا من النجاح والأفكار في حد ذاتها ان شيئا من الخداع امر ضروري في تكوين القيادة الجماهيرية من غير تشويه يغير الحقائق يجب ان يكون القائد واقعيا وعمليا ان الابتكار ليس شرطا ضروريا للقائد.

ان الجرأة المطلوبة للقيادة تتضح في الجرأة على التقليد بقدر ما تتضح في الجرأة على تحدي العالم

أن التخلي التام عن الذات المستقلة شرط أساسي لتحقيق الوحدة والتضحية بالنفس الحركات الجماهرية تعد الطاعة أهم السمات وتجعلها معادله للإيمان ليست الايمان كلها تتطلب الطاعة بل ان الطاعة هي المبدأ الاول في كل حزب ثوري وكل قوميه متحمسة ان ما يواكب الحركات الجماهرية من فوضى وسفك دماء قد يدفع المرء الى الاعتقاد ان جميع اتباع الحركة من الاشرار المجرمين غير القسوة الجماعية ليست بالضرورة دليل على القسوة الفردية العنف الياباني والنازي تم على يد افراد الاكثر انضباطا في تاريخ العالم وفي الولايات المتحدة

@rawafed_k @rawafed_k @rawafed-k

في الأزمات خلال الفيضانات والزلازل والمجاعات تنعدم جدوى الجهود الفردية يصبح الناس مستعدين لطاعة القائد والسير خلفه في هذه الظروف تصبح الطاعة القاعدة الصلبة الوحيدة. ان المحبطين أكثر الناس قدره مع ان يكونوا اتباع مخلصين والملحوظ في الجهود الجماعية ان اقل الناس استقلالا هو اخر من يزعجه احتمال الفشل.

هناك فرق أساسي بين قائد حركة جماهيرية وبين قائد في مجتمع حر من أسباب فشل القادة الشيوعيين في التنظيمات النقابية الغربية انهم يتبعون تعليمات الحزب الشيوعي حرفيا العمل. أن الانغماس في العمل عامل توحيد والتميز الفردي الذي يوجد بين ممارسي العمل الفعلي لا يصبح المرء جاهز للعمل الا عندما يتخلص من فردية تميزه الذاتي. يصعب أن يعمل رجال الفكر يدا بيد اما رجال العمل توجد بينهم رفقة كرفقة السلاح ان العمل فريقا واحدا نادر بين المفكرين يصعب أن يعمل رجال الفكر يداً بيد، أما رجال العمل فتوجد بينهم رفقة كرفقة السلاح. إن العمل فريقاً واحداً نادر بين المفكرين، بينما هو أمر ضروري عند رجال العمل. كل الحركات الجماهيرية تعد العمل وسيلة للتوحيد، إن المعارك التي تثيرها الحركة الجماهيرية وتبحث عنها لا تقضي على أعداء الحركة فحسب، بل تعمل على تجريد أتباعها من تميزهم الذاتي، وتجعلهم أكثر قابلية للذوبان في المجموع. حتى المشية العسكرية، فبإمكانها أن تكون عنصر توحيد، وقد استغلت النازية إلى أبعد حد هذه الجزئية. إن دعوة الحركة الجماهرية إلى العمل تلقى استجابة متحمسة من المحبطين الذي يرون في العمل شفاء لجميع أمراضهم. ينسيهم العمل أنفسهم ويمنحهم شعوراً بالأهمية

@rawafed_k @rawafed_k @rawafed-k

ينظم الإيمان نفسية الفرد ويعدها للعمل. أن يشعر المرء أنه يمتلك الحقيقة الوحيدة المطلقة ولا يشك، قط، في صحتها؛ أن يشعر أنه محمي بقوة يمكن أن تكون الله، أو القدر، أو حتمية التاريخ؛ إنه يعتقد أن أعداءه تجسيد للشر ويجب سحقهم؛ أن يبتهج بإنكار الذات والانقطاع للواجب، هذه مؤهلات رائعة تحفز على العمل القاسي الجاد في أي ميدان، إلا أن استعداد المؤمن الصادق لانتهاج حياة من العمل يمكن أن يفيد الحركة الجماهيرية، كما يمكن أن يكون خطراً عليها. قد يصبح العمل الناجح هدفاً في حد ذاته ويحول كل طاقات الفرد؛ لتصب في مجراه. وعندما يصل الفرد إلى هذه المرحلة، ويكف عن اعتبار نسيان النفس وذوبانها في المجموع وتحريرها من الإرادة والاختيار والمسؤولية السبيل الوحيد للخلاص يصبح معتقداً أن خلاصه في العمل، وفي إثبات قيمته، وفي تأكيد هويته الفردية. وعندما يبقى المحبط، على عقيدته فإنه يفعل ذلك لتغذية ثقته ومنح نجاحه الشرعية. وهكذا نرى أن طعم النجاح الفردي المستمر يؤثر سلباً على روح المجموع. والشعب الذي دأب على الانهماك في العمل سوف يكون على الأرجح، أقل تطرفاً وأقل ثورية من غيره. وفي المقابل، فإن اختفاء فرص العمل نهائياً، بسبب ركود حاد أو هزيمة عسكرية، سينتج إحباطاً عنيفاً تكون نتيجته تهيئة الأرض، بحيث تجد الجماهيرية المناخ الملائم لرعايتها.

@rawafed_k @rawafed_k @rawafed-k

رأينا فيما سبق، كيف تتحول إفرازات العقل المحبط، المكونة أساساً من الخوف وسوء النية، إلى حافز يجعل من المحبطين مجموعاً واحداً متماسكاً. إن الشك واحد من هذه الإفرازات، ويمكن له، بدوره، أن يكون عامل توحيد. إن إحساس المحبط بعيوبه ونواقصه يجعله يرى سوء النية واللؤم عند جميع البشر. والمدهش، هنا، هو أن هذا الشك المرضي بين أفراد الجماعة لا يقود إلى الخلاف، بل إلى العمل الجماعي المنضبط. يبدو أن القاعدة في الحركات الجماهيرية هي الحذر من جيران المرء وأصدقائه، وحتى أقاربه. بين الحين والحين، يتم اتهام أشخاص أبرياء عمداً، ويُضحى بهم؛ لينطق الشك حياً في الصدور. تعمد الحركة لإبقاء حدة الشك حياً في الصدور. تعمد الحركة لإبقاء حدة الشك إلى ربط أي معارضة في صفوفها بالعدو الذي يهددها من الخارج. إن الشك واجب مقدس من واجبات المؤمن الصادق، الذي يجب عليه أن يظل على حذر، طيلة الوقت من المخربين والجواسيس والخونة. إن الوحدة الجماعية ليست محصلة للحب الأخوي الذي يكنه الأتباع، بعضهم لبعض، إن ولاء المؤمن الصادق هو للمجموع, الكنيسة, أو الحزب, أو الوطن, وليس لزملائه أتباع الحركة. إن الولاء الحقيقي في العلاقة بين الأفراد لا يمكن أن يظهر إلا في مجتمع يتمتع بقدر من الحرية واستقلالية الأفراد. تعد الحركة الجماهيرية النشطة روابط الدم والصداقة الشخصية إضعافاً لترابط المجموع. ومن هنا فإن الشك المتبادل بين الأتباع ليس أمراً

@rawafed_k @rawafed_k @rawafed-k

متمشياً مع قوة المجموع فحسب، بل يوشك أن يكون شرطاً من شروط هذه القوة. جزء من التضحية بالنفس التي تطلبها الحركة الجماهيرية هو التضحية بالنوازع الأخلاقية التي تقيد طبيعتنا البشرية.

نتائج العمل الجماعي: إن التوحيد الكامل، سواء جاء نتيجة الاستسلام العفوي، أو الإقناع، أو القمع, أو الضرورة, أو العادة المتأصلة, أو مزيج من هذه العوامل, ينزع إلى تقوية الرغبات والاتجاهات التي تنحاز إلى الجماعة على حساب الفرد. إن الشخص الذي يتم صهره في المجموع أكثر قابلية للتصديق والطاعة من الشخص الذي لا يزال يتمتع بقدر من الاستقلال الذاتي . سبق أن رأينا أن معظم عوامل التوحيد تنبع من الكراهية التي يحس بها المحبط تجاه نفسه التي لا يحبها. إلا أن المؤمن الصادق الذي ينصهر كلية في مجتمع متماسك لا يصدق عليه وصف المحبط: لقد وجد هوية جديدة وحياة جديدة. أصبح يعد نفسه واحداً من الصفوة المختارين. إلا أن المؤمن الصادق برغم ذلك، يبدي، على نحو متزايد، ردود الفعل التي تدل على صراع داخلي ونقص في الثقة. ما الذي يحدث للفرد الذي يتم صهره في المجموع؟ إن التوحيد عملية تعني اختزال شخصية الفرد لا تنميتها. لكي يتم دمج الفرد في المجموع لا بد من تحريره من تميزه الذاتي، وحرمانه من حرية الاختيار والأحكام المستقلة، ولا بد من طمس الكثير من نزعاته واتجاهاته الطبيعية أو كسر شوكتها. كل هذه عوامل تنخر في الشخصية المستقلة. أما العناصر الجديدة التي يضيفها الصهر، العقيدة، الأمل، الكرامة، الثقة، فهي عناصر سلبية في جوهرها. لا يزال أمام المحبط خيار، فهو يستطيع أن يجد حياة جديدة، لا بأن يصبح جزءاً من كل فحسب، بل

@rawafed_k @rawafed_k @rawafed-k

بتغيير بيئته والانغماس كلية في جهود تستنفد طاقاته، أما الشخص الذي يتم صهره في المجموع فلا يملك هذا الخيار. إن العضو الذي انصهر في الجماعة، يظل دائماً وأبداً، يعاني من شعور بعدم النضج وغياب الثقة في النفس.

عندما تصنع الحركة العقيدة في منزلة تفوق منزلة المنطق، فإنها تشل حركة الذكاء الفردي.

وبالإضافة إلى هذا، تعمل الحركة على جعل أتباعها معتمدين عليها مالياً عن طريق تركيز المال في يدها وإحداث نقص معتمد في ضروريات الحياة، فضلاً عن حشر الأتباع في مساكن جماعية مزدحمة وفرض العمل الشاق عليهم في المشارع العامة. وما تفرضه الحركة من رقابة صادقة في الأدب والفن والموسيقى والعلم يمنع الأقلية المبدعة من القيام بأي نشاط إبداعي مستقل.

برغم أنهم يصبحون بمنأى عن الإحباط والظلامات القديمة، إلا أنهم يبدون كل سمات الأفراد الذي يتوقون طمس أنفسهم, والتخلص من وجود يرونه معيباً بلا أمل في الخلاص.

رجال الكلمة: لا تصعد الحركات الجماهيرية، عادة، إلا بعد أن تتم تعرية النظام القائم، وهذه التعرية لا تجيء عفوياً نتيجة أخطاء النظام وسوء استغلال السلطة, بل عن طريق عمل متعمد يقوم به رجال الكلمة الذين يحملون ظلامات ضد النظام. والحركة الجماهيرية في عنفوانها ظاهرة مخيفة تتركز قيادتها في أفراد متطرفين يستخدمون الكلمة لإضفاء طابع العفوية على الاستسلام الذي حصلوا عليه بالقوة، إلا أن هؤلاء المتطرفين لا يستطيعون أن يتحركوا ويأخذوا زمام الموقف، إلا بعد تعرية النظام القائم وتجريده من شرعيته لدى الجماهير. ولا يمكن لهذا العمل التمهيدي أن يتم إلا عن طريق رجال هم، أولاً وقبل كل شيء، رجال فكر وأدب، يعترف لهم

@rawafed_k @rawafed_k @rawafed-k

الجميع بهذه الصفة. طالما ظل النظام قائماً يؤدي واجباته على نحو منتظم، فستظل الجماهير متعايشة معه. قد تفكر الجماهير في الإصلاح، ولكنها لا تريد التغيير الشامل. يبدو المتطرف في نظر هذه الجماهير خطراً أو خائناً أو غير واقعي أو مجنوناً، ولن تكون على استعداد للاستماع إليه. إلا أن الأمر يختلف بالنسبة لرجل الكلمة العادي، غير المتطرف. تستمع الجماهير إليه؛ لأنها تدرك كلماته، وإن حملت طابع الاستعجال، لا تستطيع تحقيق نتائج فورية. كما أن السلطات تنزع إلى تجاهله نهائياً أو استخدام وسائل ناعمة لإسكات صوته. عندما تظهر على مسرح الأحداث أقلية تجيد صياغة الكلمة، لم تكن موجودة من قبل، فإن ظهورها يمكن أن يشكل حركة ثورية محتملة ينتمي رجال الكلمة إلى عدة فئات مختلفة. قد يكونون قساوسة، أو كتاباً، أو فنانين، أو أساتذة، أو طلاباً، أو مثقفين عموماً وإجمالاً. ومهما كان نوعهم، فإن هناك رغبة مشتركة تجمع كل رجال الكلمة، وتحدد موقفهم من النظام القائم: الحرص على الاعتراف بهم، والحرص على وضع يميزهم عن العامة. يبدو أن هناك شعوراً لا يمكن تجاوزه في داخل كل مثقف، سواء كان مبدعاً أو غير مبدع. ويبدو أنه حتى أكثر الموهوبين إنتاجاً وموهبة يعيش في حالة دائمة من الشك في نفسه. ويحتاج إلى إثبات ذاته من جديد كل يوم. هناك لحظة ما، في حياة كل رجل من رجال الكلمة تقريباً، يمكن فيها اجتذابه إلى صف النظام عن طريق مبادرة سلام وتقدير يقوم بها الحاكمون. إن الظلامات التي تحرك رجال الكلمة، بصرف النظر عما يدعيه من أنه يمثل المسحوقين والمظلومين، هي، باستثناءات لا تكاد تذكر، ظلامات فردية وشخصية. قد يتحدث عن الرحمة، إلا أن مشاعره الفعلية نابعة من كراهيته للنظام القائم.

@rawafed_k @rawafed_k @rawafed-k

لا يمكن ان يطول بقاء عهد ما، برغم عدم كفاءته، إلا إذا كان هناك غياب كامل للطبقة المثقفة، أو كان هناك تحالف وثيق بين الحاكمين ورجال الكلمة. كان استقرار الوضع في الصين الإمبراطورية، شأنها شأن مصر الفرعونية، نتيجة تحالف وثيق بين الطبقة الحاكمة والمثقفين .إن بقاء الإمبراطورية الرومانية الطويل كان، إلى حد ما، نتيجة التحالف التام بين الحكام والرومان ورجال الكلمة اليونانيين. ولعله ليس من الإغراق في الخيال أن نقول: لو أن البريطانيين في الهند، بدلاً من التحالف مع المهرجانات والقيادات التقليدية حاولوا اجتذاب المثقفين الهنود وعاملوهم معالمه الند للند وشجعوهم وأشركهم في السلطة لبقوا في الهند مدة أطول بكثير. كما أن فشل بريطانيا في فلسطين يرجع، جزئياً، إلى انعدام التفاهم بين بين الموظفين الاستعماريين البريطانيين وبين رجال الكلمة. في كل من الأنظمة النازية والبلشفية هناك شعور عميق بأهمية العلاقة المفصلية بين الدولة وبين رجال الكلمة. في روسيا يتمتع الكتاب والفنانون والمثقفون بالمزايا التي تحصل عليها النخبة الحاكمة، بل إنه يمكن اعتبارهم جميعاً موظفين من درجة عالية لدى الدولة. وفي حالة هتلر كان هناك نوع من الواقعية الشيطانية يستهدف التعليم حكراً على النخبة التي ستحكم الإمبراطورية العالمية التي كان يحلم بها، بينما تبقى الجماهير في أمية شبه كاملة.

يعد الكتاب الفرنسيون في القرن الثامن عشر المثال التقليدي لمثقفين فتحوا الطريق أمام حركة جماهيرية. كان انتشار المسيحية السريع في الإمبراطورية الرومانية يعود، جزئياً، إلى أن المذاهب الوثنية التي حلت المسيحية محلها أصبحت مرفوضة تماماً. هوجمت هذه المذاهب من قبل فلاسفة اليونان. ولم تستطع المسيحية تحقيق أي تقدم في مواجهة اليهودية ؛ لأن هذه الديانة

@rawafed_k @rawafed_k @rawafed-k

الأخيرة حظيت بولاء متحمسة من قبل رجال الكلمة اليهود. كانت الريادة في قيام الحركات الجماهيرية المعاصرة، سواءً كانت اشتراكية أو قومية، دوماً للشعراء والمؤرخين والباحثين والفلاسفة. والعلاقة بين المثقفين المنظرين وبين الحركات الثورية لا تحتاج إلى تأكيد. إلا أنه من الضروري أن نلاحظ أن الحركات الوطنية كلها من الثورة الفرنسية إلى آخر تمرد في إندونيسيا لم يوجدها رجال عمليون، بل مثقفون هاجموا الأوضاع السائدة. صاغ المثقفون الألمان فكرة القومية الألمانية كما صاغ المثقفون اليهود فكرة الصهيونية. إن شوق رجال الكلمة إلى موقع متميز هو الذي يجعله مفرط الحساسية تجاه أي إهانة توجه إلى الطبقة أو الجماعة التي ينتمي إليها. كانت الإهانة التي وجهها نابليون إلى الألمان، وإلى البروسين تحديداً هي التي دفعت عدداً من المثقفين الألمان إلى دعوة الجماهير إلى الاتحاد في دولة قوية تستطيع السيطرة على أوروبا

من السهل أن نرى كيف يستطيع رجال الكلمة عن طرق الانتقادات المستمرة والسخرية المطردة أن يهزوا العقائد والولاءات القائمة. إلا أنه يصعب أن نتوقع الكيفية التي تتحول عبرها هذه الإدانة إلى عقيدة جديدة. رجل الكلمة المعارض بانتقاض الولاءات والعقائد القائمة يخلق في الجماهير، دون قصد، شوقاً إلى عقيدة جديدة. هكذا يصبح رجل الكلمة المعارض شاء أو لم يشأ، مبشراً بعقيدة جديدة. يمكن أن نقول: إن رجل الكلمة المعارض يهيئ التربة لقيام حركة جماهيرية، وذلك :

أولاً: بانتقاض الذاهب والمؤسسات القائمة وزعزعة شرعيتها عند الناس.

@rawafed_k @rawafed_k @rawafed-k

ثانياً: بأن يوجد، بطريق غير مباشر، جوعاً إلى الإيمان في قلوب أولئك الذين لا يستطيعون العيش من غير هذا الإيمان، بحيث تلقى العقيدة الجديدة حين تجيء قبولاً حاراً من الجماهير المحبطة.

ثالثاً: بان يصوغ العقيدة الجديدة وشعاراتها.

رابعاً: بأن يهاجم "الصفوة" التي لا تحتاج إلى عقيدة على نحو يفقد أفرادها القدرة على مقاومة التطرف الجديد حين يجيء. يصبح هؤلاء مقتنعين أنه لا جدوى من الموت في سبيل المبادئ التي يؤمنون بها ويستسلمون للنظام الجديد بلا مقاومة

إن الوهم السائد الذي يذهب إلى أن الحركات الجماهيرية تولد من عزم الجماهير على التخلص من الطغيان وشوقها إلى الحرية يعود إلى ضجيج الكلمات التي أطلقها المثقفون ضد النظام القائم . إلا أن الواقع يقول: إن الحركات الجماهيرية خلال صعودها تمنح، عادة حريات أقل من التي كانت موجودة في عهد النظام القديم. إلا أن الأشخاص الوحيدين الذين خدعوا هم-في الواقع- المثقفون. تحرك المثقفون ضد النظام القائم، يعيبون عليه عدم عقلانية وعدم كفاءته، ويشككون في شرعيته ويدينون ظلمه، مطالبين بالحرية، معترضين أن الجماهير التي تستجيب لنداءاتهم وتصطف وراءهم تؤمن بالأهداف ذاتها. إلا أن الجماهير، في الحقيقة، لا تتوق إلى حرية التعبير وتحقيق الذات، بل إلى التحرر من العبء الثقيل الذي يخلقه وجود الفرد المستقل. لم تكن ثورة الجماهير منصبة على شرور النظام القديم بقدر ما يقنعهم بضعفه وعجزه، وما تفعله الحركات الجماهيرية يتمشى، عادة، مع رغبات الناس ولا يمكن القول: إن الحركة خدعتهم.

@rawafed_k @rawafed_k @rawafed-k

الفصل السادس عشر: المتطرفون

المتطرف, وحده, هو الذي يستطيع, عندما تجيء اللحظة المناسبة, أن يفرّخ حركة جماهيرية حقيقية. في غياب المتطرف, يظلّ التذمر الذي أثاره رجال الكلمة المعارضون بلا هدف, ويمكن أن يتبدد في اضطرابات لا غاية لها يسهل القضاء عليها. وأي إصلاحات جديدة, حتى عندما تكون جذرية, لا تستطيع في غياب المتطرف، تغيير نمط الحياة القديم. وأي انتقال للسلطة, في غياب المتطرف, لا يتجاوز, عادة, نقل الحكم من رجال عمليين إلى رجال عمليين مثلهم, باختصار، يمكن القول: إنه بدون المتطرف, لا يمكن أن تكون هناك بداية جديدة. عندما يبدأ النظام القديم في التهاوي نجد أن عدداً كبيراً من رجال الكلمة المعارضين, الذين صلّوا من أجل هذا اليوم, يصابون بالهلع. ينتابهم من النظرة الأولى إلى الفوضى العارمة فزع يشل قواهم العقلية. وهنا ينسون كل ما قالوه عن (الناس الطيبين البسطاء) ويهرعون إلى طلب الحماية من الرجال العمليين- النبلاء والضباط الكبار والإداريين ورجال البنوك ومالكي الأراضي- الذين يستطيعون التعامل مع الغوغاء وإيقاف مدّ الفوضى. ليس هذا شأن المتطرف: إن الفوضى هي البيئة التي يبدع فيها. عندما يبدأ النظام القديم في التصدع يتقدم المتطرف بكل جرأة؛ ليؤجج نيران الغضب على هذا النظام. من أين يجيء المتطرفون؟ يجيئون غالباً من صفوف رجال الكلمة غير المبدعين. إن أهم تفرقة بين رجال الكلمة هي بين أولئك الذين يحصلون على الرضا والشعور بالاعتزاز نتيجة عملهم وبين أولئك الذين لا يشعرون بشيء من هذا. إن رجل الكلمة المبدع, برغم انتقاداته المريرة للنظام القائم, هو, في الحقيقة، إنسان مرتبط بالحاضر, يتطلع إلى الإصلاح لا الهدم.

@rawafed_k @rawafed_k @rawafed-k

بقاء رجل الكلمة المبدع في قيادة الحركة لا يتحقق إلا بغياب الفوضى من المسرح, إما لأن النظام القديم تنازل بلا مقاومة، أو لأنه حالف رجالاً عمليين أقوياء قبل انفلات النظام.

إن الرجل الذي يودّ أن يكتب كتاباً عظيمًا، أو يرسم لوحة رائعة، أو يصمم مخططاً معماريا استثنائياً, أو يصبح عالماً شهيراً, ويعلم أنه لا يستطيع أن يقوم بشيء من هذا, ولو منح الأبدية, هذا الرجل لا يجد طعماً للسلام في نظام اجتماعي مستقر, سواء كان قديماً أو جديداً.

بإمكاننا أن نعد قادة الثورة الفرنسية الدمويين ولينين وموسوليني وهتلر أمثلة صارخة لمتطرفين خرجوا من صفوف رجال الكلمة غير المبدعين، يلاحظ بيتر فيريك أن معظم القيادين في الحركة النازية كانت لديهم طموحات فنية وأدبية لم يتمكنوا من تحقيقها ((كان الجميع فاشلين لا بمعايير النجاح الموضوعية فحسب، بل حسب معاييرهم أنفسهم)).

لا يشعر رجل الكلمة المبدع بالراحة في جو الحركة الجماهيرية النشطة، بل يحسّ أن حيويتها وعواطفها المتأججة تمتص طاقاته المبدعة: ما دام الإبداع يسري في دمائه، فهو لا يجد أي متعة في قيادة الملايين وتحقيق الانتصارات، والنتيجة الحتمية، عندما تبدأ الحركة هديرها, هي أن يتخلى عن موقعه طوعًا أو يزاح بالقوة. ينزع المتطرفون، إذا سمح لهم بحرية العمل، إلى شقّ الحركة وإدخال انحرافات وخلافات تهدد بقاءها. وحتى عندما لا يتعمدّ المتطرفون إثارة الفرقة، فإنهم يستطيعون تحطيم الحركة بدفعها نحو أهداف يستحيل تحقيقها. لا ينقذ الحركة في هذه المرحلة سوى دخول رجل من الرجال العمليين.

@rawafed_k @rawafed_k @rawafed-k

الفصل السابع عشر: الرجال العمليون

الحركة الجماهيرية يخطط لها رجال الكلمة, ويظهرها إلى حيز الوجود المتطرفون, ويحافظ على بقائها الرجال العمليون قد يكون من فائدة الحركة, بل قد يكون شرطاً من شروط بقائها, أن يؤدي هذه الأدوار المختلفة رجال مختلفون يأتي الواحد منهم بعد الآخر حسب متطلبات المرحلة. عندما يقود الشخص نفسه, أو أشخاص بطبيعة واحدة, الحركة من بدايتها إلى نهايتها, فإن الحركة تنتهي, عادة, بكارثة, لم يحدث أي تغيير في قيادة الحركة النازية أو الحركة الفاشية, وانتهت الحركتان نهاية مأساوية. هناك بطبيعة الحال, إمكانية حدوث تغيير في الطبيعة البشرية. بوسع رجل الكلمة أن يصبح متطرفاً حقيقياً أو رجلًا عملياً. إلا أن التجربة تشير إلى أن مثل هذا التغيير يكون, عادة, مؤقتا: بعد وقت يطول أو يقصر يرجع المرء إلى طبيعته الأصلية. ينقذ رجل العمل الواقعي الحركة من النزعات الانتحارية، ومن طيش المتطرفين. إلا أن ظهوره يعني، عادة أن مرحلة الديناميكية انتهت بالقضاء على الوضع القائم. لا يهم رجل العمل أن يعيد صياغة العالم بقدر ما يهمه أن يسيطر. كانت القوة المسيرّة للحركة في مرحلتها الديناميكية هي الاحتجاج والرغبة في التغيير الجذري, أما في المرحلة النهائية فشغل الحركة الشاغل هو التنظيم والحفاظ على السلطة التي تم الفوز بها. إن المهمة الأولى للرجل العمليّ عندما يسيطر على حركة جماهيرية منتصرة هي أن يضمن بقاء الوحدة والاستعداد للتضحية بالذات. إن هدفه إقامة مجموع واحد منظم, ومع ذلك يمكن أن يتصرف مثل رجل واحد. لا يستطيع الرجل العملي الاعتماد على الحماسة؛ لأن الحماسة, بطبيعتها, عاطفة عابرة. ولا يمكنه الاعتماد على الإقناع الذي

@rawafed_k @rawafed_k @rawafed-k

لا يأتي دوماً بالنتائج المطلوبة. ولهذا فهو ينزع إلى الاعتماد، أساساً على التدريب المستمر والقمع. إن الرجل العلمي لا يعتمد على الإيمان بقدر ما يعتمد على القانون. يختار الرجل العملي بعناية الأساليب التي يستخدمها لإعطاء النظام الجديد الاستقرار والثبات. إنه يستعير من القريب والبعيد ومن العدو والصديق. بل إنه يعود إلى النظام القديم الذي قضت عليه الحركة؛ ليقتبس منه التقنيات التي توطد الاستقرار, ويوجد بذلك، دون أن يقصد, استمرارية مع الماضي. منصب الديكتاتور المطلق الذي يظهر عادة في هذه المرحلة هو استخدام متعمد لآلية مقصودة, بالإضافة إلى كونه تعبيراً عن الجوع إلى السلطة. إن الديكتاتورية كثيراً ما تبرز مع بداية الحركة ومع نهايتها. إنها تعبير عن الرغبة في الثبات، ويمكن أن تستخدم لبلورة وضع لم يتبلور, أو للحفاظ على وضع بدأ في الانهيار. عندما تقع الحركة في قبضة رجل عملي, فإنها تكف عن كونها ملاذاً من آلام الوجود الفردي وتبعاته وتتحول إلى وسيلة متاحة لصعود الرجل الطموح. إن اجتذاب الحركة رجالاً, لا يعانون الإحباط هو دليل قاطع على التغيير الهائل الذي ألم بالحركة وعلى تأقلمها مع الوضع الراهن. كما أنه من الواضح أن إقبال الأعضاء الجدد يسارع في تحويل الحركة إلى مشروع مؤسسي.

@rawafed_k @rawafed_k @rawafed-k

الديناميكية وما يوكبها من فساد وعقم. إن الوحدة المطلقة والاستعداد التام للتضحية بالنفس اللذين يعطيان الحركة الديناميكية اندفاعها الذي لا يقاوم لا يمكن تحقيقهما, عادة, إلا بالتضحية بأشياء كثيرة جميلة وثمينة هي ما تميز الوجود الفردي للإنسان. لا يمكن لحركة جماهيرية, بصرف النظر عن سمو عقيدتها وأهدافها, أن تحتفظ ببطيتها إذا طالت مرحلتها الأولى, أو إذا بقيت بعد سقوط النظام. يعرف قائد الحركة الجماهيرية الذي يخدم شعبه ويخدم الإنسانية, لا متى يبدأ الحركة فحسب, بل يعرف, مثل غاندي, متى ينهي مرحلتها الديناميكية. عندما تحتفظ الحركة الجماهيرية عبر عدة أجيال بالطابع الذي صاغته المرحلة الديناميكية ((كما هو الحال مع الكنيسة السلطوية خلال القرون الوسطى)) فإن النتيجة ظهور مدة من الجمود وبداية عصر مظلم. عندما نشاهد مدة من الإبداع الحقيقي مقترنة بالحركة الجماهيرية، أنها تسبق المرحلة الديناميكية, أو على الأغلب تأتي بعدها، عندما تكون المدة الديناميكية قصيرة لا تتميز بطابع دموي مدمر, فإن نهايتها, خاصة عندما تكون مفاجئة, كثيراً ما تثير موجة من الإبداع. أحياناً يصبح الحرص على ملء الفراغ الذي تتركه القضايا المقدسة التي انتهت أو هجرت حافزاً على الإبداع. إن المرحلة الديناميكية، نفسها مرحلة فقيرة في الإبداع. فجع كل من نابليون زهتلر بالمستوى الهزيل للأدب والفن المنتجين في فترتيهما البطوليتين وأرادا إبداعاً عظيمًا يتمشى مع الأحداث العظيمة.

@rawafed_k @rawafed_k @rawafed-k

إن تأثير الحركة الجماهيرية النشطة على العملية الإبداعية تأثير بعيد المدى يتخذ عدة أشكال:

أولاً: يستنزف التوتر.

ثانياً: تحط الحركة من قيمة الإبداع الحقيقي وتحل محله الأدبيات التي تخدم الحركة.

ثالثاً: عندما تفتح الحركة آفاقاً جديدة تستغرق الجهود فإن هناك استنزافاً إضافياً للطاقة الإبداعية.

رابعاً: تكفي حالة التطرف، في حد ذاتها, لخنق كل أشكال العمل الإبداعي. يعتد المطرف بعقله، ولهذا فهو لا يستطيع أن يبدأ التكفير من جديد. وسبب هذا الاعتداد هو اعتقاده الراسخ أن الحياة, والكون بأكمله تخضع لقانون بسيط هو القانون الذي يؤمن به. وهكذا يصبح المتطرف محروما من تلك الفترات المثمرة من البحث العقلي, حيث يكون العقل مستعداّ لجميع ردود الفعل, ومفتوحاً على معادلات جديدة وبدايات جديدة.

عندما تظهر الحركة الجماهيرية أي نوع من أنواع الابتكار فهو, عادة, ابتكار في التطبيق أو في الكم. إن المبادئ والأساليب والتقنيات التي تستخدمها الحركة الجماهيرية وتستغلها هي, عادة من إنتاج إبداع كان, أو لا يزال خارج دائرة الحركة. بعض العوامل التي تحدد طول المرحلة النشطة:

عندما تسعى الحركة الجماهيرية إلى تحقيق هدف ملموس محدد, فإن مرحلتها الديناميكية تكون, عادة, أقصر منها في الحركة التي تسعى إلى خلف أهداف غائمة وغير واضحة. ولعل عدم

@rawafed_k @rawafed_k @rawafed-k

وضوح الهدف أمر ضروري لنشوء التطرق الدائم. قال أوليفر كرومول: ((لا يذهب الإنسان إلى أبعد مدى إلا حين يجهل إلى أين هو ذاهب)).

عندما تستهدف الحركة تحرير الأمة من الطغيان, الداخلي أو الخارجي, أو صدّ اعتداء, أو تحديث مجتمع متخلف, فمن الطبيعي أن تنتهي مع نهاية الصراع مع العدو, أو إعادة تنظيم المجتمع. من الناحية الأخرى, عندما يكون الهدف إيجاد مجتمع مثالي تسوده الوحدة الشاملة والتضحية بالذات, سواء كان مجتمعاً دينيا أو شيوعياً أو دولة حربية كدولة هتلر, فإن المرحلة الديناميكية لا تنتهي عند حد. عندما تعد الوحدة والتضحية بالنفس أمرين ضروريين لبقاء المجتمع, فإن النتيجة هي ((قدسنة الحياة اليومية, أي تحويل القضايا العادية إلى قضايا مقدسة, أو عسكرة المجتمع. وفي أي من الحالتين سيبقى النمط الذي شهدته المرحلة الديناميكية ثابتاً ودائمًا.

نلاحظ أنه عندما كانت هناك محاولات لإيجاد مجتمع مثالي كانت المحاولة تتم على نطاق شاسع وتشمل شعوباً غير متجانسة, كما كانت عليه الحال في الثورات الفرنسية والروسية والنازية, يبدوا أنه عندما تتم المحاولة من جانب دولة صغيرة, وفي وجود شعب متجانس, فإن النتائج لا تكون مأساوية. هناك, على ما يبدو علاقة أخرى بين نوعية الجماهير وطبيعة الحركة الجماهيرية النشطة ومدتها. إننا أمام حقيقة تقول: إن اليابانيين والروس والألمان الذين سمحوا لحركة جماهيرية نشطة بالبقاء دون مقاومة كانوا مهيئين نفسيًّا للخضوع والانضباط الحديدي عبر عدة أجيال قبل ظهور الحركة الجماهيرية. إن أي تغيير إيجابي في الأوضاع الاقتصادية سيؤدي- بلا

@rawafed_k @rawafed_k @rawafed-k

شك- إلى إحياء تقاليد الحرية, وتقاليد التمرد. ليس للفرد الذي يقاوم ستالين في روسيا أي انتماء يلوذ به مما يجعل قدرته على مقاومة القمع معدومة, إلا أن الفرد في المجتمعات التي تنعم بتراث من الحرية, عندما يقاوم القمع لا يشعر أنه خلية آدمية منعزلة, وإنما جزء من شعب كامل, ومن أسلافه المتمردين. إن شخصية القائد, على الأغلب, عامل حاسم في تحديد طبيعة الحركة الجماهيرية ومدتها, إن القادة النادرين مثل لنكولن وغاندي لم يكونوا على استعداد لإيقاف الشر المتأصل في الحركة الجماهيرية فحسب, بل كانوا راغبين في إنهاء الحركة مجرد تحقيق هدفها. هؤلاء القادة من القلة التي يصدق عليهم القول: ((إن السلطة منحتهم عظمة وسخاء في الروح)). ومن الناحية الأخرى, نجد أن عقلية ستالين البدائية وقسوته القبلية كانتا عاملين رئيسين في إطالة المرحلة الديناميكية من الحركة الشيوعية. تؤثر الطريقة التي تبدأ بها الحركة الجماهيرية في مدتها وكيفية انتهاء مرحلتها الديناميكية. عندما نرى أن حركة الإصلاح البروتستانتي والثورة الإنجليزية والثورتين الأمريكية والفرنسية وكثيراً من الثورات الوطنية انتهت, بعد مدة ديناميكية قصيرة, بنظام اجتماعي يتميز بالمزيد من الحريات الفردية, فإن لنا أن نرجع السبب إلى تحقيق المثل والأهداف التي سادت خلال المرحلة الأولى من المرحلة.

حركات جماهيرية نافعة: يبدوا الرجال الذين لا يعتنقون قضايا مقدسة في عيون المؤمنين الصادقين رجالاً يفتقرون إلى الصلابة والشخصية مستعدين لاتباع الرجال المؤمنين. ومن ناحية أخرى، يشعر المؤمنون الصادقون من كل الأطياف بقوة خصومهم ويحترمونهم برغم ما يشعرون به نحوهم من كراهية وبرغم استعدادهم للاشتباك معهم. اعتبر هتلر الشيوعيين أنداداً

@rawafed_k @rawafed_k @rawafed-k

له وأعطى تعليمات بضم الشيوعيين السابقين إلى الحزب النازي بلا تردد. كما رأى ستالين، بدوره, أن الألمان واليابانيين هما الأمتان الوحيدتان الجديرتان بالاحترام. تتكون الديمقراطيات في الظروف الطبيعية, من أنظمة مؤسسية تضم أفراداً أحراراً على نحو أو آخر. إلا أنه عندما يتعرض وجود الدولة الديمقراطية للخطر ويجب عليها أن توحد شعبها وتغذي فيه روح التضحية بالنفس, فإنها تتحول إلى كيان يشبه الكنيسة المتشددة أو الحزب الثوري. وعملية "القدسنة" هذه لا تحمل معها, برغم بطئها وصعوبتها, تغييرات جذرية عميقة. حتى المؤمنون الصادقون لا يزعمون أن انحلال الديمقراطيات انحلال عضوي دائم. كانت ألمانيا طبقًا للمحللين النازيين, منحلة في العشرينيات, وعادت إلى العنفوان في الثلاثينيات. لا شك أن عقداً واحداً لا يكفي لإحداث تغييرات بيولوجية أو ثقافية جذرية في شعب من الملايين. إن قدرة القائد في المجتمع الديمقراطي على "قدسنة" القضايا أمر ضروري, حتى عندما لا تظهر الحاجة إلى ممارسة" القدسنة" فعلياً. ولعله من الصحيح أيضًا أن الفكر الفلسفي المتعمق, أو الواقعية التي يتصف بها رجال الأعمال, تحول بين الانسان وبين موقع القيادة الوطنية. بالإضافة إلى هذا، قد تكون هناك صفات معينة في المجتمع الديمقراطي تسّهل عملية " القدسنة" وتطلق العنفوان الوطني. لا يمكن قياس العنفوان في أمة ما إلا بقياس مخزون تطلعاتها. يمكن للحركة الجماهيرية, كما سبقت الإشارة, أن تكون عاملاً في نهضة مجتمع جامد وتحديثه. وبرغم أنه لا يمكن القول: إن الحركات الجماهيرية هي الوسيلة الوحيدة لإحياء المجتمع، فإنه قد يكون من الصحيح في المجتمعات الكبيرة غير المتجانسة مثل روسيا والهند والصين أن عملية الإحياء تعتمد على

@rawafed_k @rawafed_k @rawafed-k

وجود حماسة متدفقة بين أفراد المجتمع قد لا تتوافر في غياب الحركة الجماهيرية. قد يكون التحرك الشعبي الحقيقي عملية نهضوية تحديثية عندما تترك الحكومات لتموت موتاً طبيعياً بطيئاً فإن النتيجة, عادة، هي الجمود والتفسخ على نحو قد لا يمكن علاجه. وبالنظر إلى أن رجال الكلمة يؤدون دوراً كبيراً في قيام الحركة الجماهيرية، كما سبق أن رأيت، فإن وجود أقلية متعلمة تستطيع التعبير عن نفسها أمر ضروري لاستمرار الحيوية في المجتمع.

@rawafed_k @rawafed_k @rawafed-k

الخاتمة

قد تكون وجدت ضالتك في هذا الكتاب، فكرةً كانت أو معلومةٍ قد سرقت لُب قلبك، ورُبما اقتبست منه نورًا يشع بك، فهل تُشارك الآخرين هذا النور عبر حسابنا فنُضيء جميًعا؟

ـــــــ انتهى ـــــــ

@rawafed_k @rawafed_k @rawafed-k

مصممة الغلاف : فاطمة باكدم

إذا أردت معلومات صحيحة مختصرة عن الدوافع التي تعمل في عقول المتعصبين وعن آليات الحركات الجماهيرية في أشد مستوياتها البدائية فأقترح عليك أن تقرأ هذا الكتاب

وول ستريت جورنال

بينما كان إيريك هوفر يعمل على أرصفة تحميل السفن وتفريغها في سان فرانسيسكو في الأربعينيات من القرن الماضي ، كان يشغل وقت فراغه في كتابة البحوث الفلسفية ، وهذا الكتاب هو أول كتبه وأهمها ، وقد قفز إلى قائمة أفضل الكتب مبيعا عندما استشهد به الرئيس أيزنهاور في إحدى ندواته التلفزيونية .

إن الكتاب لايزال منسجما تمام الإنسجام مع ظروف العالم اليوم وهو ضروري لفهم مجريات الأحداث فيه : إذ يقدم صورة مثيرة للعقل المتعصب ، ودراسة عميقة للطريقة التي يتحول بها الإنسان ليصبح متطرف .

Rawafed_k
Rawafed-k
Rawafed.communicate@gmail.com
https://rawafedcommunicate.wixsite.com/rawafedknowledge
روافد المعرفة